

طرائف ونوادر مدرسين معاصرين

حكايات ضاحكة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة

٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ - ٠١٢٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني yuness2005@hotmail.com

محمد يونس هاشم

طرائف ونوادر مدرسين معاصرين

حكايات فكاهية

دار زهور المعرفة و البركة
٢ ش مكة المكرمة – أرض اللواء- الجيزة
ت٠١١١٢١٩٩٦٦٩٦- ٠١٢٢٩٠٦٩٣١٨

هاشم ، محمد يونس .

طرائف ونوادر مدرسين ، حكايات فكاهية / محمد يونس هاشم

الجيزة : دار زهور المعرفة والبركة ، ٢٠١٦.

ص ٢٢٢- ١٤× ٢١

تدمك ٩٧٨٩٧٧٥١٧٢٤٩٥

١- الأهاجي والفكاهات العربية .

أ- العنوان

٨١٧

رقم الإيداع / ١٩٩٤٩ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي 5 - 49 - 5172 -977 - 978


الفصل الأول
في نقابة المعلمين



أصل الحكاية

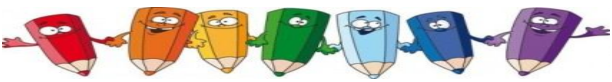
في إحدى ليالي الصيف الجميلة وفي حديقة نقابة المعلمين بالجزيرة كان لقاء الأصدقاء .

خمسة أصدقاء كانوا يعملون معاً منذ نحو ربع قرن في مدرسة الروضة الإعدادية فرَّقتهم الأيام ولكن حافظوا على التواصل في الإجازات ، والأعياد ، والمناسبات .

جمعهم هذا اللقاء بمناسبة عودة صديقهم أسامة إنجليزي من الإمارات بعد غياب عامين .

كانت الساعة نحو السابعة مساء عندما حضر أشرف علوم، وأسامة إنجليزي ، وهكذا كان ينادي بعضهم بعضاً اسمه مقروناً باسم المادة التي يدِّرسها ، ولم تكد تمضي ساعة من الزمن حتى حضر بقية الأصدقاء .

بعد السلام الحار ، والعناق الطويل ، والدعابات السريعة بدأ الأصدقاء يتذاكرون أيام مدرسة الروضة حيث جمعتهم زمالة المدرسة ثم صداقة العمر .



قال أسامة إنجليزي : شكراً على حضوركم ، لقد أوحشتموني كثيراً ، لم تغب صورتكم عن عيني في الإمارات يوماً ، دائماً أذكركم وأذكر مواقفكم الطريفة .. كانت أياماً جميلة جداً .

قال أشرف علوم مازحاً : لا تصدقوه ؛ لو كان يتذكّرنا حقاً ، ويتذكّر أيامنا لاتصل بنا .

قال صلاح تاريخ : لم يتصل بي إلا مرة واحدة خلال العامين السابقين ، ولم يكن اتصاله لوجه الله إنما لأعطي ابن أخيه درساً .

قال رفعت رياضة : أما أنا فلم يتصل بي أبداً .

ولمّا وجد أسامة أنهم يتكتّلون ضده صاح فيهم : ولماذا لا تتصلون أنتم ؟ لم يتصل بي أحدكم يوماً .

صاحوا فيه جميعاً : أنت الذي معك الدنانير ، والذهب ، والياقوت ، والمرجان .. أنت الذي عندك ...

قاطعهم أسامة صائحاً مازحاً : مهلاً .. مهلاً .. دنانير ماذا؟ ومرجان ماذا ؟ أولاً : عُمْلة الإمارات هي الدرهم وليس الدينار يا جَهلة ، ثانياً : أنا سافرت إلى الإمارات ولم أدخل



مغارة " على بابا " .. ثم قولوا لي أين أموال الدروس الكثيرة التي تمصُّونها من دم أولياء الأمور ؟!

قال أشرف علوم مداعباً : أموال الدروس حرام لا بركة فيها.

وأكمل صلاح تاريخ ضاحكاً : يعطيها لنا أولياء الأمور بأيديهم مُكْرهِين ، ويدعون علينا ليل نهار ألا يبارك الله لنا فيها .

قال حسن عربي : قل لي يا أسامة سمعت أنك تزوَّجت في الإمارات من مُدَرِّسة تعمل معك ، هل هذا صحيح ؟

أسامة : لا .. لا .. لم يحدث . هذه إشاعة سخيفة افتراها عليَّ أحد أولاد الحلال في الإمارات ، عرف تليفون بيتي واتصل بزوجتي وقال لها : أسامة تزوج من إحدى زميلاته في المدرسة .

قال الأصدقاء متعجِّبين : وماذا حدث بعد ذلك ؟

قال أسامة ضاحكاً : أصرَّت زوجتي على اللحاق بي هي والأولاد ، ومن يومها " وهي كاتمة على نَفَسي " في الإمارات وفي مصر أيضاً .

ضحك الجميع حتى دمعت عيونهم .



قال أسامة : والله لا أعرف هذه الضحكات الصافية إلا معكم ، أتذكرون أيام مدرسة الروضة .

قال أشرف : لم يكن يمر علينا يوم إلا حدث موقف يثير الضحك .

***



شرح الدروس بين الخطابة ، والطبلة

قال صلاح : أتذكر يا حسن يوم أن قال لك طالب " أقسم بالله العظيم إن شرحك أصعب من النص الذي تشرحه ! " ؟



قطع حسن ضحك الأصدقاء قائلاً : كنتُ مُتأَثِّرًا في بداية عملي بالتدريس بأساتذتي في الجامعة الذين كانوا يشرحون باللغة العربية الفصحى ، ولم يسبق لي أن شرحت لتلاميذ صغار من قبل ، وكنتُ أيامَها أخطب الجُمع وأصلي بالناس...

قاطع أسامة حسناً : فأنت اعتبرت نفسك في خُطْبة جُمْعَة وأخذت تُلْقي على طلبة الصف الأول الإعدادي خُطَبك العصماء البليغة .



قال أشرف : وأكيد كنت تبدؤها بحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وتنهيها بالدعاء وإقامة الصلاة .

وغرق الجميع في موجات من الضحك المتواصل .



قال حسن موجهاً كلامه لأشرف وأسامة : أنتما لم تكونا معنا ؛ لقد كنت أعمل أنا وصلاح في الفترة المسائية في هذا العام سنة ١٩٩١ والعام التالي انتقلت أنا وصلاح إلى الفترة الصباحية حيث اُبْتلُينا بصحبتكم .

قال أسامة وهو ما يزال مُسْتغرقاً في الضحك : وأكيد أنت جَلَدت الطالب أقصد طحنته .

قال حسن : لا والله ، لقد أدركت خطئي وعذرت الطالب .

قال أسامة ضاحكاً : ومن يومها وأنت تشرح اللغة العربية باللغة العامية وعلى إيقاع الطبلة والدُّف .

ضحك الجميع .





قال حسن : ليس لهذا الحد إنما حاولت تبسيط الكلام قدر المُسْتَطَاع ، فلا تنسَ إني لست مدرس لغة عربية وتربية إسلامية فقط إنما أنا عاشق للغة العربية أيضاً ، أما الطبلة والدف فتعرفونها أنتم يا مدرسي آخر الزمان .

قال صلاح تاريخ : بمناسبة الطبلة والدف ، هل رأيتم المدرسين الذين يشرحون دروسهم في المراكز التعليمية على أنغام الموسيقى ؟!

قال الأصدقاء : نعم .. رأيناهم جميعاً في "You Tube" و"Facebook" والله هذه مَسْخَرَة .. إنها إهانة للعلم والتعليم .

قال صلاح : أين طلاب اليوم من طلاب زمان ؟ أذكر أن طالباً في مدرسة الروضة الفترة المسائية كان متفوقاً جداً ، وكان يحبني جداً ، بعدما نُقِلت إلى الفترة الصباحية أنا وحسن تأخَّرت ذات يوم حتى حضر طلاب الفترة المسائية ورآني هذا الطالب من بعيد واتجه نحوي وهو ينظر إليَّ ثم وقف على مقربة مني وقال : " صدق رسول الله ﷺ " . أشرت إليه أن يقبل ، وبعد أن صافحته سألته ماذا يقصد بصدق رسول الله ، قال والدموع تملأ عينيه : فهو القائل ﷺ : " أحبب من شئت فإنك مفارقه " .

قال أشرف : وهل هذا حديث صحيح يا حسن .

قال حسن : هذا الحديث رواه أبو هريرة وغيره قال : " جاء جِبْرِيلُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال يا محمدُ عِشْ ما شئتَ فإنك ميِّتٌ ، واعملْ ما شئتَ فإنك مجزيٌّ به ، وأَحبِبْ مَن شئت فإنك مُفارِقُه . " وهو حديث حسن .

قال أسامة مازحاً : حديث حسن !! هل هو حديثك أم حديث النبي ﷺ ؟

قال حسن : حديث حسن أي أقلُّ درجة عن الحديث الصحيح، ولم ينزل إلى مرتبة الحديث الضعيف يا جاهل .

قال أسامة مازحاً : أفادكم الله يا عمي الشيخ حسن .

قال صلاح بشيء من الجد : لا تسخر من الشيخ حسن يا أسامة ، فهو عالمنا ، ونحن نستفتيه في أمور الدين .

قال أسامة : أنا أمزح معه فقط فأنا أحبه ، وهو يعلم هذا .

قال حسن بمناسبة موضوع الإفتاء فقد تعرَّضت لموقف غريب جداً ولم أحكه لكم من قبل .

***



سيدة مسكينة أم نصَّابة ؟

قال حسن : حَدَث في بداية عام ٩٣ / ٩٤ تقريباً عندما كان أ/ سيد على ناظراً للمدرسة .

قال رفعت : نعم .. نعم .. أنا أذكر جيداً أن أ / سيد علي أصبح ناظراً في هذا العام بعد صول أ/ عبد الهادي إلى سن المعاش .

أكمل حسن : أرسل أ/ سيد علي عمي سعد ، رحمه الله ، ..

قال أسامة إنجليزي : هل مات عمي سعد ؟

قال رفعت : أكيد عمي سعد مات الله يرحمه ، وعبد الهادي، وسيد علي ؛ لقد كان هؤلاء في نحو الستين منذ أكثر من ربع قرن .

قال حسن : أرسل لي أ/سيد علّي ، وعندما ذهبت إليه وجدت عنده سيدة مسكينة في نحو الثلاثين من عمرها .

قال أ/ سيد : هذه السيدة تريد أن تسال سؤالاً في الدين ، ولم أجد أفضل منك يجيبها .

انتحت بي السيدة جانباً وقالت بصوت ضعيف : أنا أريد أن أكفِّر عن خطأ سأرتكبه لظروف لا أستطيع أن أقولها لك.. ظروف صعبة جداً .

قلت لها : ما الخطأ الذي تريدين أن ترتكبيه ؟

قالت لي في أذني بصوت خافت جداً : أنا مُضْطَرَّة أن أسلِّم نفسي لرجل ليتركب معي الفاحشة ، ولا تسألني عن سبب اضطراري لذلك لأني لا أستطيع أن أخبرك به ؟ .. أنا أريد منك فقط أن تعلِّمني كيف أكفِّر عن هذا الذنب .

قال الأصدقاء : معقول .. شيء عجيب .. ها وماذا فعلت؟

قال حسن : قلت لها ، بعد أن أخذتها بعيداً عن سمع أحد ، لن أستطيع أن أفتيكِ إلا إذا عرفت السبب ؛ فالأمر خطير جداً .

قالت : أنا لن أستطيع أن أقول لك ؛ ظروف صعبة جداً التي تجبرني أن أفعل هذا .



قلت : أنا أعرف أن التي تضطّـر لارتكاب هذه الفاحشة في الغالب تكون في حاجة لأموال .

قال أسامة : ليس شرطاً أن تكون في حاجة لأموال .

وعندما رأى أشرف الدهشة ترتسم على وجوه الأصدقاء قال لهم مازحاً : صدقوا أسامة ؛ إنه خبرة .. خبرة .

وأشار بيده مقلداً الممثل الذي قال هذا في إحدى المسرحيات.

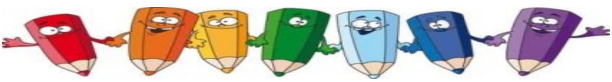
ضحك الأصدقاء .



قال أسامة : أنا لا علاقة لي بهذا الموضوع مُطْلقاً ، إنما سمعت عنه فقط .

قال أشرف بسخرية : سمعت فقط !!

قال صلاح : أكمل يا حسن .. وماذا قالت لك عندما عرضت عليها المال ؟



قال حسن : قالت : أنا لا أريد أموالاً أنا أريد فتوى فقط .

قلت : وأنا لن أفتيك بعمل جريمة دينية وأخلاقية دون أن أعرف السبب ، وهممت بتركها .

قالت وهي يبدو عليها الاضطرار : زوجي دخل السجن بسبب مخالفته تسعيرة الفاكهة .

قاطع رفعت حسناً متسائلاً : تسعيرة فاكهة سنة ٩٣ ، التسعير كان في السبعينات بعد حرب ٦ أكتوبر ، واستمرَّ العمل بها على ما أتذكَّر حتى أوائل الثمانينات مع تولي حسنى مبارك الحكم .

قال حسن : أنا لا أتذكر متى انتهى العمل بقانون التسعير ، ولكن الذي أتذكَّره جيداً أني صدقتها في كل ما قالت ، ولم يكن عندي أدنى شك في أية كلمة من كلامها .

قال الأصدقاء وقد شُغِفُوا بالحكاية : المهم .. أكمل .. أكمل.

قال حسن : قالت لي : بعد أن دخل زوجي السجن طلب مني صاحب البيت الذي نسكن فيه ألا أعمل مكان زوجي



وسوف يتكفَّل بتلبية كل طلباتي أنا وأولادي ، وظللت في البيت ، وكان صاحب البيت كريماً معنا ، وبالأمس فقط طلب مني أن أسلِّمه نفسي ، وهددني إن لم أنفِّذ ما يطلبه مني فسيطردنا من البيت ، واضطررت أن أنام في الشارع أنا وأولادي ليلة أمس ،وكانت ليلة صعبة جداً جداً ؛ الشرطة ظلَّت تضايقنا طول الليل ، وأنا لست على استعداد أن أكرر النوم في الشارع مرة ثانية .

قال رفعت : ما تلك الشرطة التي تتعرَّض لامرأة هي وأولادها لتمنعهم من النوم في الشارع ، فأولاد الشوارع يفترشون الطرقات طول الليل ولا يتعرَّض لهم أحد .

قال حسن : لا تنسَ أنها كانت تنام في شارع المنيل أو على الكورنيش وأطفال الشوارع لا يسمح لهم بالنوم في المناطق الراقية أو الشوارع الكبرى ، أنسيت أن مدرسة الروضة كانت في المنيل وأن ؟ ...

قاطع الأصدقاء استرسال حسن في الرد على رفعت وطلبوا منه إتمام الحكاية .

وهنا سمع صوت نغمة تليفون أغنية لفيروز .

قام رفعت ليرد على التليفون بعدما نظر في التليفون ليعرف من المتصل .

قال الأصدقاء : أكمل يا حسن فقد ذهب رفعت ولن يقاطعك أحد .

قال حسن : قلت لها ، كم جنيهاً يريد منك صاحب البيت ؟

قالت : أنا لا أريد أموالاً ، أنا أريد منك أن تخبرني كيف أتوب إلى الله بعد ارتكابي الخطأ مع صاحب البيت .

قلت : إذا كانت المشكلة مشكلة أموال فالحل سهل ، أنا أستطيع أن أدبِّر لك المبلغ الذي تريدينه ، فقط أمهليني حتى الساعة الخامسة مساءً

قالت : أنا لا أستطيع الانتظار أكثر من هذا في الشارع .

قلت : لكن ليس معي الآن أموال تكفي ..لَمْ تقولي حتى الآن كم جنيهاً تحتاجين إليها ؟

جاء رفعت وأشار له الأصدقاء أن يجلس ويستمع في صمت ، وأكمل حسن :



قالت : صاحب البيت يحتاج ٦٨ جنيهاً .

قلت : انتظري حتى أذهب للبيت وأحضر لك المبلغ .

قال رفعت مازحاً : لم يكن معك ٦٨ جنيهاً !!

قال حسن : أنسيت أن راتبنا كان سبعين جنيهاً في ذلك الوقت ، ولم يكن يحمل أي منَّا أكثر من عشرة جنيهات .

قال بقية الأصدقاء : دعك يا حسن من مزاح رفعت وقل لنا ماذا حدث بعد ذلك ؟

قال حسن : قالت لي : إذا أردت خدمتي حقاً دبِّر لي الأموال الآن ، أو قل لي كيف أتوب بعد أن أرتكب المعصية مع صاحب البيت ؟

قلت لها : سأقوم بمحاولة ، لكن لا أستطيع أن أعدكِ بتدبر كلِّ المبلغ .

قالت : أستحلفك بالله ألا تفضحني أو تقول لأحد .. كررت ذلك عدة مرات.

ذهبت إلى حجرة اللغة العربية وقلت لزملائي : أنا أريد أموالاً سَلَف لحاجة مُلحَّة . قلت هذا بتوسُّل شديد ، أخرجت

عَلْبَة عشرة جنيهات من حقيبتها ، وقالت إيمان : أنا لا أحمل أية نقود لأن بيتي قريب .

قلت بلهفة شديدة : أنا أريد الأموال وسأردُّها لكم غداً إن شاء الله .

أخرج فاروق من جيوبه كل ما كان معه ، ولم يكن معه سوى ٦ جنيهات فقط ، ذهبت لمحمد علي ولم يكن موجوداً في الحجرة ، وأعطاني ٤٠ جنيهاً بعد إلحاح شديد ؛ فقد كان ينوي أن يشتري شيئاً يحتاج إليه بهذا المبلغ .

قال صلاح : لماذا لم تطلب منَّا هذا المبلغ ؟ وكنا سندبره لك .

قال حسن : لم تكن علاقتنا قد توطّدت بعد ، كما أن الله أعانني واستطعت تدبير المبلغ .

أخذتُ المبلغ وبحثت عن المرأة فلم أجدها عند باب المدرسة كما تركتها ، إنما وجدتها تجلس على الرصيف على يسار المدرسة أعطيتها المبلغ ، أعطيتها ٦٨ جنيهاً ، وقلت لها : ماذا تفعلين بعد ذلك ؟

قال رفعت مازحاً : إذن كم جنيهاً دفعها حسن من جيبه ؟



لام الأصدقاء على رفعت مزاحه وقد اشتعلت رغبتهم في معرفة بقية الحكاية الغريبة .

دافع رفعت عن نفسه قائلاً : لا تؤاخذوني يا جماعة ، فعمل الإنسان له أحكامه ، وعلى العموم حسن قد دفع ١٢ جنيهاً من جيبه .. واحسبوها أنتم على راحتكم .

قال حسن لرفعت : هذا هو كل ما كان معي من نقود ولم يبق معي شيء أعود به إلى بيتي ، لكن الحمد لله كان معي اشتراك " مترو ".

قال الأصدقاء بلهفة : لا عليك يا حسن أكمل .. أكمل .

سُمِعَت نغمة تليفون " ألف ليلة وليلة لأم كلثوم " أخرج أشرف تليفونه ، وبعدما عرف المُتصْل أغلق التليفون .

قال أشرف : آسف يا جماعة .

قال حسن : لا عليك فنحن في زمن التليفون المحمول .

قال أسامة وقد غضَّ من صوته : وزمن الفياجرا .

ابتسم الأصدقاء ، وأكمل حسن حكايته : قلت للمرأة المسكينة ماذا تنوين أن تفعلي بعد ذلك ؟

قالت : سأعطي صحاب البيت جزءاً من المبلغ وأتاجر بباقي المبلغ في الفاكهة كما كان يعمل زوجي ، وكما كنت أعمل قبل أن يطلب مني صاحب البيت ترك العمل والقعود في البيت .

قلت لها بكل بحزم : لقد أخذتِ المبلغ الذي تحتاجينه ، أحلفي لي ، والله شاهد علينا ، أنك لا تفعلين أي شيء حرام ، مادام ربنا أعطاك ما تحتاجين .. لم يعد لك حُجَّة .. ولن يقبل الله لك توبة ..وسوف يعذبك عذاباً شديداً .

استأذن أسامة في الحديث في التليفون لأمر مهم .

قال رفعت مازحاً : أنا أعتقد أن هذه السيدة نصَّابة ، واستطاعت بهذه الحكاية النَّصب عليك .

قال بعض الأصدقاء: حرام عليك يا رفعت ..لا تظلم الناس.

قال حسن : أنا لم أشك لحظة في صدقها .. هي لم تطلب أموالاً .. أنا الذي ألححت عليها حتى قبلت .. لقد بكت وهي تحكي حكايتها ورأيت دموعها .. وعندي دليل قاطع أكدَّ لي صدق هذه السيدة ،وقبول الله تعالى وقوفي بجانبها في شدتها.

***



حكاية أول درس خصوصي

قال رفعت : ما هذا الدليل ؟

عاد أسامة ووضع تليفونه على المنضدة .

أمسك أشرف بتليفون أسامة وأخذ يتفحَّصه . فخطفه منه أسامة ووضعه في جيبه .

قال حسن ردّاً على سؤال رفعت : أنتم تعلمون في بداية تعييني لم أكن أُعطي دروساً خصوصية .

قال أشرف علوم : هل الدروس الخصوصية حرام شّرعاً ؟

قال حسن : لا .. لا .. ما دامت بالشروط التي تعرفونها جميعاً ، لكن لم يطلب مني أحد أن أعطيه درساً ، وبالطبع لم أفرض على أحد ...

قال صلاح : أنا أقول لكم ما يتحرَّج حسن من قوله ، كان بعض مدرسي اللغة العربية ، سامحهم الله ، يسأل طلاب

المدرسة َمن يدرس لك لغة عربية في الفصل ، فإن قالوا له : الأستاذ حسن . فيرد هذا البعض : الأستاذ حسن مدرس ممتاز لكنه ، مع الأسف ، لا يعطي دروساً خصوصية ، وشاع هذا الموضوع في كل المدرسة ، والعجيب أن حسن نفسه لم يكذِّبه .

قال أسامة إنجليزي : صحيح أنا سمعت هذا ، وكنت أظن أنه يحرِّم الدروس الخصوصية ، ولم أشأ أن أسأله في هذا ؛ حتى لا يقنعني بحرمتها .

قال أشرف مازحاً : وتفقد آلاف الجنيهات التي كنت تستولي عليها من الدروس .

قال أسامة : أنت الذي تقول هذا ؟! وأنتَ كنتَ حوت المدرسة في الدروس .

قال أشرف : بل أنت الذي كنتَ ...

قطع صلاح حوار أسامة ، وأشرف الساخر حول الدروس الخصوصية قائلاً : أكمل يا حسن علاقة السيدة المسكينة بالدروس الخصوصية .



قال رفعت : لا تقل سيدة مسكينة ، إنها سيدة نصَّابة .

قال حسن : انتظر يا رفعت حتى تنتهي الحكاية حتى تعرف أهي مسكينة أم نصَّابة ؟

ظللتُ على هذه الحالة من عدم وجود دخل غير راتبي ، وفقدت الأمل في الحصول على شقة ، فضلاً عن تكاليف الزواج الأخرى .

وفي يوم زارني علّي الواحاتي أحد زملاء الجامعة ، وأحد الأصدقاء الُمقَرَّبين ، وقال لي : لقد أرسل لي أبي الذي يعمل في الكويت عقداً للعمل في إحدى المدارس هناك ، وأنا أعطي بعض الدروس ، ولا آمن أحداً على هؤلاء الطلاب سواك ، ولقد أخبرت أولياء الأمور والطلاب بذلك ، وأعطاني عناوين وأرقام تليفونات هؤلاء الطلاب .

كان من بين هؤلاء الطلاب ابن شهاب الدين مدير منظمة اليونسكو في مصر ، وأعطيت هؤلاء الطلبة دروساً وكانوا يسكنون في مناطق راقية : المعادي ، والدقي ، والمنيل .. المهم كان شهاب الدين يعطيني في الشهر ١٦٠ جنيهاً نظير التدريس لابنه الأصغر ...

قال رفعت مُتَعَجِّباً : ١٦٠ جنيهاً من طالب واحد .. كان أغلى درس يومئذ ٥٠ ، ٦٠جنيهاً فقط في الشهر .

وأكمل حسن : وبعد نهاية العام الدراسي طلب مني الأستاذ شهاب الدين الاتصال به في شهر أغسطس لأبدأ مع ابنه دروس العام الجديد.

وظللت أتصل به طوال شهري : أغسطس ، وسبتمبر دون ردٍّ ، وبعد ساعة أو ساعتين على الأكثر بعد إعطاء السيدة المسكينة ما احتاجت إليه اتصلت بشهاب الدين ، كآخر اتصال، وردَّ عليَّ ، وعاتبني أني لم أتصل به قبل ذلك .

قال رفعت مداعباً : ما هذه الصدفة العجيبة في نفس اليوم، وأنت تتصل به مراراً قبل ذلك !!

لماذا لم تذهب إليه في بيته ؟!

وفي أثناء كلام رفعت سُمِعت نغمة تليفون أغنية " يا حبيبتي يا مصر لشادية " . ولكن لم يُ خْرج صاحب النغمة تليفونه ، وأخذ ينظر كل واحد للآخر ويقولون : تليفون مَن هذا ؟

أخيراً انتبه أسامة فأخرج تليفونه ، ونظر فيه ثم أغلقه .



قال أشرف لأسامة : ما هذه الوطنية التي هبطت عليك مرة واحدة أغنية " يا حبيبتي يا مصر " أين نغمة الموسيقى الراقصة ؟

قال أسامة : هذه هي نغمة تليفوني التي سمعتموها جميعاً .

قال أشرف : كفى كَذِباً .. أنا سمعت نغمة تليفونك الخليعة عندما التقينا اليوم على باب النقابة .

قال أسامة مُدَّغِماً : لم تكن نغمتي ، ربما كانت نغمة تليفون شخص آخر .

قال أشرف : إنها نغمت تليفونك ، أنا متأكد ، ولكن كيف غيَّرتها بهذه السرعة ؟!

قطع صلاح مزاح أشرف وأسامة وقال : ماذا دهاك يا رفعت أتشكك في كلام حسن ؟!

قال رفعت : ليس تشكيكاً إنما أستفسر فقط ؟

قال حسن : أنا أقول لك يا رفعت ما دمت تريد الحكاية بالتفصيل في آخر حِصَّة نهاية العام الدراسي قال لي الأستاذ شهاب الدين : سوف نترك هذا البيت في الصيف ، وكان بيته

هذا فيلا في شارع ١٤ بالمعادي ولا أتذكر الآن رقمها وإلا كنت أعطيتك رقمها حتى تذهب لتتأكد بنفسك يا رفعت .

ضحك الجميع .



وأكمل حسن وأعطاني الأستاذ شهاب الدين رقم تليفون مكتبه لكي أتصل به في أغسطس ليعطيني العنوان الجديد ، وكنت أتصل به مساءً أو ليلاً بعد أن يكون قد غادر مكتبه ، وفي هذا اليوم ، يوم المرأة المسكينة يا رفعت ، اتصلت به في الثانية بعد الظهر وردَّ عليَّ ، وعاتبني على عدم الاتصال به قبل ذلك واتفقنا على موعد الدرس ...

قاطع رفعت حسناً ، وقد تحوَّل الموضوع بينه وبين حسن إلى شبه مناظرة ظريفة حول، هل المرأة مسكينة أم نصَّابة ؟ قال رفعت ضاحكاً : هل إعطاؤك درساً لطالب دليل على صدق المرأة ، وقبول الله دعاءها لك ؟!! إن كان هذا صحيحاً فأنا إذن من القدِّيسين ؛ فكل يوم يطلب مني طالب أو أكثر أن أعطيهم دروساً .



قال حسن : انتظر يا رفعت حتى تعرف بقية الحكاية هذا الدرس ليس كالدروس التي تعطيها في دار السلام ، وإسطبل عنتر ، وعزبة خير الله ... بملاليم ...

قال أسامة وقد تظاهر بالرغبة في معرفة معلومة مهمة : على ذِكْر أسعار الدروس سمعت أن أسعار الدروس الخصوصية عندكم في مصر هذه الأيام أصبحت غالية جداً .

صاح الجميع في وجه أسامة : ما لك ومال الدروس في مصر !! ألا يكفيك دراهم الإمارات .

قال أشرف علوم : بالمناسبة ما سعر الدرهم الإماراتي هذه الأيام ؟

قال صلاح : أكثر من جنيهين .

قال أشرف : إذن عشرة آلاف درهم في جنيهين يكون المبلغ...

قام أسامة مهللاً : حرام عليكم .. ارحموني .. من قال لكم هذا .. عشرة آلاف درهم في الشهر .. قولوا في السنة ....

صاحوا فيه جميعاً وقالوا : في السنة !! يا نصَّاب .. نحن أصدقاؤك أتكذب علينا ؟ .. سيارتك التي كنت تركبها بنحو نصف مليون جنيه ...

قال أسامة : حرام عليكم .. حرام عليكم .. ارحموني من عيونكم .. هذه السيارة التي دفعت فيها كل ما أملك لن أصل بها سليماً إلى بيتي اليوم ، أكمل يا حسن قصتك وآسف، واعتذر عن قطع حديثك .

وبعد أن انتهى الأصدقاء من فاصل الضحك الطويل .



قال حسن : والله أنا نسيت ماذا كنت أقول ، سامحك الله يا رفعت ...

قال رفعت ساخراً : وما ذنبي أنا .. أسامة هو الذي قاطعك، وعلى العموم كنت تقول أنك اتفقت مع محيي الدين أبو العز على أن تعطيه درساً في شارع شهاب .

قال حسن وهو ما يزال يضحك : اسمه شهاب الدين ويسكن في المعادي في شارع بورسعيد على يمين قسم شرطة المعادي...

قال رفعت مفتعلاً الدهشة : ألم تقل إنه كان يسكن في شارع ١٤ ؟!



قال حسن : هذا عنوانه القديم ، وفي الصيف قد انتقل إلى عمارة في شارع بورسعيد .

قال رفعت : ألم يكن يسكن في فيلا ؟!

وضع صلاح يده على فم رفعت وقال : أكمل يا حسن فلن أرفع يدي عن فمه حتى تنتهي من حكايتك ، ولا توجِّه لرفعت كلاماً ، احكِ لنا نحن .

ضحك الأصدقاء .



وأكمل حسن قائلاً : عندما ذهبت لشهاب الدين فوجئت به يطلب مني أن أدرِّس لكل أولاده : أحمد ، ولمياء ، ولارا مرتين في الأسبوع تسع ساعات أسبوعّياً والساعة بعشرين جنيهاً ، فكم كنت أتقاضى منه شهرّياً يا رفعت يا مدرس الرياضة ؟

قال رفعت وقد هاله المبلغ : معقول ٧٢٠ جنيهاً في الشهر !

قال حسن : هذا على أساس أن الشهر ٢٨ يوماً ، إنما في الحقيقة كنت أتقاضى منه أكثر من ٨٠٠ جنيه هذا بأسعار سنة ١٩٩٣ التي كان رفعت لا يحصِّل من الطلاب الذين يهددهم بالعصا ، والدرجات إلا على نحو ٣٠٠ ، ٤٠٠ جنيهاً فقط .

إذن المرأة كانت مسكينة أم نصَّابة يا رفعت ؟

أغرق الجميع في الضحك .



قال صلاح : العجيب رغم كل هذه المشاكسة بين رفعت وحسن إلا أنهما الوحيدان اللذان لم يفترقا منذ مدرسة الروضة وحتى الآن .

قال رفعت ضاحكاً : هذا من سوء حظي .. تفرَّق أصدقاء الروضة وحسن ورائي .. ورائي .. في كل مدرسة أنتقل إليها.

قال حسن ضاحكاً : يا نصَّاب .. ألم أذهب إلى مدرسة الفسطاط أولاً ،وأنت الذي لحقت بي هناك؟ وعندما تركتها ...



قال رفعت ضاحكاً : أنا كنت أحدثك برغبتي في الانتقال إلى مدرسة كذا ، وأفاجأ أنك سبقتني إليها ، ألا تذكر يوم قلت لك ...

قاطع حسن رفعت قائلاً : على العموم سوف أترك لك كل المدارس وأذهب إلى توجيه اللغة العربية ، وأرني كيف تلحق بي ؟

قال رفعت مازحاً : سأعمل مدرس لغة عربية ، وأنت تعرف براعتي فيها ، وسألحق بك أيضاً ؟

ضحك الأصدقاء .



قال حسن مازحاً : ستظل ورائي حتى تدخلني السجن . ألا تذكر موضوع كتب عمارة الملك الصالح ؟

***

كاد المعلم أن يكون سجيناً

قال صلاح : ما حكاية كتب عمارة الملك الصالح هذه ؟

همَّ رفعت أن يتكلّم ، ولكنْ حسن قال : دعني أحكي الحكاية ؛ فأنا بطلها .

قال رفعت : هل هذا جزاء حبي لك ؟

قال حسن : ومن يحب إنساناً يدخله السجن !!

قال أشرف : احكِ يا حسن .. فنحن لا نفهم شيئاً .

قال حسن : في يوم من الأيام جاءني رفعت مُتهلّلاً ، وقال لك عندي مفاجأة سارَّة جداً .. مفاجأة لن تصدقها ، وبدأ يحكي فقال : بالأمس كنت أعطي درساً في العمارة التي أمام مدرسة الملك الصالح الثانوية ،ورأيت كمية كتب كبيرة جداً جداً مُلْقاة في صفائح القمامة ، ومعظم الكتب في اللغة العربية ، والدين، والأدب ، والثقافة العامة ، ولقد أخذت منها كتابين أعجباني .



قلت له : معقول كتب قيِّمة مُلْقَاة في صفائح القُمامة ؟

قال : نعم .. أسرع حتى تنتقي منها الكتب التي تحتاجها قبل أن يأخذها جامعو القمامة .. فأنا أعرف أنك تحب الكتب وتشتري الكثير منها .

ولم أنتظر موعد الانصراف فتركت المدرسة بعد الحصة الرابعة وذهبت وأنا أجري إلى العنوان الذي أعطاه لي ، ودخلت العمارة وصعدت حتى آخر دور ولم أجد أية كتب ، ونزلت بسرعة ، وكنت شديد الخوف أن يراني أحد السكان ، ويسألني من أريد ؟ وما الذي دفعني لدخول العمارة ؟

ونظراً لأني لا أملك جواباً مقنعاً عن أسئلته فربما أمسك بي واتهمني بمحاولة السرقة ، وتكون فضيحة خاصة أن كثيراً من تلامذتي يسكون في هذه المنطقة ، ولقد قابلت بالفعل اثنين منهم وأنا في الطريق وسلّ ما عليَّ .

واكتشفت أن العنوان الذي أعطاه رفعت كان خطأ فالعمارة لم تكن رقم ١ شارع الزبير بن العوام كما قال لي .. إنما كانت ١ شارع عبادة بن الصامت ...

قال رفعت : والله خطأ غير مقصود ، فالشارعان متجاوران .. المهم وجدت الكتب ، أليس كذلك ؟

قال حسن مازحاً : خطأ غير مقصود !! بل كنت تريد أن تسجنني ...

قال رفعت وهو يضحك : لماذا أسجنك ؟ لقد كنت أقرب صديق لي في المدرسة ، كما أنك لا تنافسني في دروس الرياضة بل بالعكس فكثيراً ما أتيت لي بدروس ، وأتيت لك بدروس .

قال حسن : هذا ما كان يثير عجبي لماذا أنا الذي تريد أن تسجنني ؟!

قلت : يمكن أن يكون أحد مدرسي اللغة العربية المنافسين لي قد حرَّضك ضدي .

ضحك الأصدقاء .



قال صلاح : الشهادة لله يا حسن كل المدرسين يحبونك ، وعلاقتك حسنة بكل الناس .



ثم نظر لرفعت وقال له مداعباً : ألم تجد غير حسن الرجل الطيب ؛ فهناك كثير من المدرسين الذين يستحقُّون السجن بالفعل .

قال أسامة : مثل أشرف صاحب العيون المُدوَّرة ...

وقبل أن يرد أشرف قاطعه صلاح قائلاً : انتظر يا أشرف حتى نسمع بقية الحكاية .

قال حسن : نزلت من العمارة الخطأ وأنا مضطرب حَرِج بل خائف ، ثم لاحظت أن هناك عمارتين أمام مدرسة الملك الصالح فقلت ربما رفعت أخطأ في العنوان الذي أعطاه لي ويقصد العمارة الأخرى .

وبعد تردد صعدت العمارة الثانية التي على الناصية التالية، ناصية شارع عبادة بن الصامت .. صعدت وأنا خائف حتى وصلت إلى الدور الرابع ، ووجدت الكتب بالفعل ....

قال رفعت : إذن لم أخدعك ، ولم أكن أريد سجنك كما تدَّعي.

قال حسن : ألم تقل لي : إن العمارة على ناصية شارع الزبير بن العوام ؟!

المهم وجدت كتباً كثيرة جداً جداً ولكن لم تكن ملقاةً في صفائح القَمُامة كما قال لي رفعت ، إنما ملقاة على السلم .

قال رفعت : وهل قلت لك أنها ملقاة في صفائح القمامة ؟ وبالعقل كيف يلقى هذا الكم من الكتب في صفائح القمامة ؟! أنه يحتاج إذن إلى أكثر من مائة صفيحة ...

قال حسن : أنا متأكد أنك قلت لي أنها ملقاة في صفائح القَمُامة ، وهذا ما شجَّعني أن أجرى لأدرك هذه الكتب قبل أن يأخذها جامع القمُامة .

أنا أتذكر هذه الحادثة جيداً ، وكيف أنسى حادثة كادت تقضي على مستقبلي تماماً .

وضحك الأصدقاء ؛ لأن حسناً قال آخر جملتين بطريقة يوسف وهبي المسرحية " يا للهول .. اخرُج عليك اللعنة الأبدية ... "





وأكمل حسن : وجدت الكتب .. كتب كثيرة لا حصر لها .. كتب قيِّمة أمهات الكتب في الدين واللغة والأدب ، وقبل أن أشرع في انتقاء ما أريد منها ، والحقيقة أني كنت راغباً في أخذها جميعاً ، نظرت على باب الشقة المجاور للكتب فوجدت لافتة مكتوب عليها اسم صاحب الشقة وتحت الاسم عضو مَجْمَع اللُّغة العربية .

وتعجَّبت كيف يُلقي رجلٌ عالِم كهذا هذه الكتب المهمة ، إن كان يريد التَّخلُّص منها فهناك كثير من التُّجار يرغبون في شراء مثل هذه الكتب .. شككت في الأمر وزاد شكّي عندما قرأت اللافتة المكتوبة على الباب .

قال رفعت مازحاً : أوجز يا يوسف وهبي ، إنك تشعرني أنك تمثل مسرحية " راسبوتين " .

قال أسامة : أنا أعرف أن حسن يجيد الحكي ، لكن لم أكن أعرف أنه يجيد التمثيل أيضاً .

قال رفعت : ألا تعرف أنه يصرُّ على أن يشرف على فريق التمثيل في كل مدرسة يذهب إليها !!

قال حسن : أنا لا أمثّل أنا أحكي المأساة الكبرى التي حدثت لي بسببك .

قال رفعت ضاحكاً : أوجز يا حسن .. أسدل الستارة على مسرحية الكوميديا السوداء هذه .

قال حسن : قررت أن أتبيَّن حقيقة الأمر ، وبعد تردد شديد، فأنا خجول بطبيعتي ، ولا أحب اقتحام خصوصيات الآخرين.

قال أسامة لأشرف : الناس المحترمة تحترم خصوصيات الآخرين ، ولا تقتحمها .

قال أشرف مازحاً : وهل لك أنت خصوصيات ؟ .. كل الناس تعرف فضائحك .

قال أسامة : البركة فيك يا عم أشرف .. لا تكاد تعرف عني شيئاً حتى تذيعه وتفضحني ...

قال صلاح : انتظروا يا جماعة حتى ينتهي حسن من حكايته.

قال حسن : وبعد تردُّد طرقت الباب وخرجت لي سيدة عجوز وقور. فقلت لها : أنا مدرس في مدرسة الروضة



الإعدادية .. ولاحظت وجود هذه الكتب مُلْقاة على السلم ، هل أنتم في غنى عن هذه الكتب ؟ أم تريدون بيعها ؟

فقالت وهي تبتسم : نحن ندهن البيت واضطررنا لوضع الكتب على السلم إلى حين انتهاء أعمال الدهان .

قلت لها : أنا أحب الكتب ، وتعجبت أن عضواً في مَجْمَع اللُّغَة العربية يستغني عن هذه الكتب المهمة ويلقي بها ، فقررت أن أتأكَّد قبل أن آخذ منها شيئاً .

ضحكت السيدة الفاضلة ودعتني للدخول وعلى كرسي خشبيٍّ جلست ، وقالت لي : كما ترى العمَّال يعملون في الشقة وليس هناك مكان نضع فيه الكتب فوضعناها على السلم حتى ننتهي من دهان البيت .

اعتذرت السيدة الفاضلة عن هذا الخطأ ، وانصرفت حامداً الله على السلامة من الشَّرَك الذي نصبه لي رفعت .

قال صلاح مازحاً : حرام عليك يا رفعت .. أكنت تريد تشويه سمعة الرجل الطيب ؟! وتريد أن تدخله السجن ؟!

قال رفعت : حسن هو الذي كان يريد أن يدخلني السجن .

قال صلاح : كيف ؟

في اليوم التالي جاءني حسن غاضباً: وحكي لي ما حدث له بالأمس ، وهدَّدني إن لم أُعِد الكتابين اللذين أخذتهما سيبلغ عني الشرطة .

وضحك الأصدقاء .



ثم قال أشرف موجهاً كلامه لأسامة : ما هذا البخل ، أكثر من أربع ساعات ولم تدعونا لتناول شيء !

قال أسامة : أنتم الذين دعوتموني لهذا اللقاء ، والطلبات واجب عليكم .

قال أشرف : نحن الذين دعوناك نعم ، لنحتفل بك ونشكرك على الهدايا الثمينة التي ستهديها لنا ،واستبشرنا خيراً بسيارتك الكبيرة الفارهة ...

وأكمل صلاح متظاهراً بالجد : ومرَّت ساعة بعد ساعة ونحن ننتظر أن تفتح سيارتك وتخرج منها الهدايا ، دون



جدَوى ولمَّا تيقَّنا من عدم إحضارك شيئاً منَّينا أنفسنا بدعوتك لنا على عشاء دسم في محل فاخر ...

قال رفعت : أبو شقرة ، أو حضر موت ، أو حتى أم حسن...

قال أسامة وقد فطن إلى مزاح أصدقائه : سلامتها أم حسن، هدايا ماذا ؟ وعشاء ماذا ؟ أنا ليس معي سوى خمسة جنيهات سأعطيها للسائس .

قال أشرف وهو ما زال يتظاهر بالجد : إذا كان معك دراهم أنا أعرف شركة صرافة قريبة من هنا تحوِّل العملات بأعلى سعر .

قال أسامة : ماذا تظنوني .. أصبحت مليونيراً مثلكم ، إن أقلَّ واحد منكم يكسب أضعاف ما أكسب ، أنا قد أخذت قرضاً لأشتري هذه السيارة ، أنا ...

قاطع بقية الأصدقاء أسامة وقالوا له : كفى .. كفى .. أنت ستتشحذ.

ووضع كل واحد منهم يده في جيبه أو حقيبته وأخرج منها بعض الجنيهات وأعطاها لأسامة ، والعجيب أن أسامة قد أخذ

هذه الجنيهات بالفعل ووضعها في جيبه ، ومد يده لحسن الذي لم يعطه شيئاً فقال له حسن : الله يسهِّل لك ؟

ظل الأصدقاء يضحكون حتى كاد يغشى على بعضهم .



قال أسامة هيا بنا : أنا أدعوكم إلى العَشَاء في أي مكان تختارونه ، مع أني آخر دعوة على العشاء كانت من نصيبي.

قال بقية الأصدقاء مازحين وهم يهمون بالقيام : ولماذا هذه المصاريف؟

قال أسامة : أنا أشتري سلامتي ، وسلامة سيارتي بدعوتكم على العَشَاء ، فأنا أعرف عيونكم التي تفْلِق الحجر .

قال أشرف : إذا كنت تظن أن دعوتك لنا على العشاء ستعفيك من الهدايا فأنت مخطئ .

***





الفصل الثاني

في السفينة السياحية



درس في بيت مشبوه

بعد العَشَاء الذي دفع ثمنه أشرف حيث اكتشف أسامة أن نقوده التي بالعملة المصرية لا تكفي .

دعا أسامة الأصدقاء على الغداء في بيته الأسبوع القادم .

قال حسن : فلتكن الدعوة خارج البيت .

قال صلاح : نريد أن نأخذ راحتنا في الكلام ، والمزاح .

قال أشرف : خارج البيت أفضل تجنُّباً لفضيحتك أمام زوجتك وأولادك فأنت لك تاريخ أسود ، أتريد أن أذكّرك ...

قال أسامة : أنا موافق .. اختاروا أي مكان تريدونه .

وفي السادسة من مساء الثلاثاء ضم سطح سفينة سياحية عائمة أربعة من الأصدقاء فقد اعتذر رفعت رياضة عن الحضور بسبب ظرف طارئ .

وبعد السلام والتحيات قال حسن : من يحكي لنا حكاية طريفة حدثت له ؟

قال صلاح : احكِ لنا أنت يا حسن فحكاياتك طريفة جداً .

قال حسن : لقد بدأت المرة السابقة ، وأريد أن أعطي فرصة لغيري .

قال أشرف : أنا أحكي لكم حكاية طريفة حدثت لي .. عندما كنت في مدرسة الملك الصالح الثانوية ، طلب مني طالب أن أعطيه درساً بمفرده ، وعرضت أن أضمَّه لمجموعة قريبة من المدرسة ، وأصرَّ على أن يأخذ الدرس بمفرده ويدفع ما أطلبه ، وتعجَّبت ، وخمَّنت أنه يسكن في منطقة راقية ، أو أن أباه يعمل في الخليج مثل أسامة .

قال أسامة : اتركْ أسامة في حاله ، وركّز في حكايتك ، وإلا قاطعتك مع كل كلمة ، كما كان رفعت يفعل مع حسن .

أكمل أشرف : كان الطالب يسكن في الجَيَّارة ، وفي الميعاد المُحَدَّد وجدته ينتظرني على ناصية الحارة التي يسكن فيها ، لاحظت وأنا أسير مع الطالب أنه كثير التلفت حوله ، ليس



هو وحده بل معظم الناس في الشارع كذلك ،ولا يتكلّمون إلا هَمْساً ، يضع أحدكم فمه في أذن الأخر ويقول له كلمة أو كلمتين ثم يقفان صامتين ، أو ينصرف أحدهما ليهمس في أذن آخر بهاتين الكلمتين .

المهم دخلت بيتاً قديماً وفي حجرة خالية من الأثاث إلا منضدة صغيرة وبضعة كراسٍ .. كانت الإضاءة خافتة ، وعندما طلبت من الطالب أن يزيد منها قال لي : إن النور يؤذي عيني .. بدأت أشرح ، ولا أكاد أرى ما أكتبه ، ولاحظت أن الطالب غير مُنْتبَه للشرح ، ولا ينظر لما أكتبه .

قال صلاح : ما تكتبه !! وأين الملازم ؟!

قال أشرف : كان هذا في منتصف التسعينات قبل اختراع الملازم والمُلَخَّصات ، كنا نكتب الدروس بأيدينا في كراسات أو على ورق والطلاب يقومون بتصويره .

قال أسامة : أذكر ، عندما أعطيت أول درس لمجموعة من الطلاب لم أكن أعرف كيف أشرح لهم ، فأنا لم آخذ دروساً من قبل وفي المدرسة أشرح على السبورة بالطباشير ، والطلاب هم الذين علموني موضوع الورق والكربون ، ونظام توزيع الورق المكتوب على الطلاب .



قال حسن : كلنا حدث معنا هذا في بداية تدريسنا ، فعندما كنَّا طلاباً لم نكن نأخذ دروساً ، وعندما تخرَّجنا وجدنا ظاهرة الدروس الخصوصية قد تفشَّت .

قال أشرف : الحمد لله ، والله لولا هذه الدروس ما تمكَّن معظمنا من الزواج ، وتكوين أسرة فقد كانت الرواتب صغيرة جداً .

قال أسامة مازحاً : وبعد الكادر تضاعفت الرواتب عشر مرات كما سمعت ، هذا بخلاف مكافأة الامتحانات التي تصل إلى نحو عشرة آلاف جنيه ، بالإضافة إلى ....

قاطع أشرف أسامة صائحاً : دع غيرك يقول هذا ، أتحسدنا على الملاليم التي نتقاضاها ، وأنت راتبك في الشهر والواحد يساوي ...

قال أسامة : أنا آسف .. أنا آسف لن أتحدث معكم ثانية عن الرواتب ، والدروس .. أكمل يا أشرف حكايتك .. أكمل من فضلك أم تريدني أن أُقَبِّل رأسك .



وبالفعل أمسك أسامة رأس أشرف ليقبلها مازحاً ، وقهقه الأصدقاء .



قال أشرف : نسيت ما كنت أقول سامحك الله يا أسامة .

قال أسامة : كنت تتحدث عن المكان المشبوه الذي كنت تدرِّس فيه .

قال أشرف : لكي تعرف أننا تعذَّبنا كثيراً من أجل لقمة العيش، أما أنت .

وهنا قام أسامة وأمسك برأس أشرف وقبَّلها بالفعل ، وغرق الأصدقاء في فاصل من الضحك لفت أنظار كل من يجلس حولهم في السفينة التي بدأت تتحرَّك .



وبعد أن هدءوا قال أشرف : كان الطالب دائم القلق ويفزع عند سماع أي صوت في الشارع ، وكثيراً ما سألت الطالب عن سبب قلقه واضطرابه ، وعدم تركيزه ، وكان يقول لي : لا تشغل بالك يا أستاذ .. أكمل ، أكمل .

ولم أكد أنتهي من الدرس حتى انطلقت هارباً ، وقررت أن أقول للطالب أن يبحث عن مدرس آخر إن لم يوافق على الانضمام إلى مجموعة أخرى . كان هذا يوم الخميس ، ويوم السبت بحثت عن الطالب .

قال صلاح : أليس يوم السبت إجازة ؟

قال أشرف مازحاً : أنا أرتاح من مقاطعة أسامة ، تبدأ أنت!

قال أسامة ضاحكاً : أنا لم أقاطعك .. الحمد لله .

قال أشرف لأسامة : وهل تجرؤ على مقاطعتي ثانية ؟ أنت تعرف النتيجة ، أم تريد أن أذكّرك .

قال أسامة صارخاً : لا .. لا .. شكراً .. أنا أعرف .

قال أشرف لصلاح : في التسعينات لم يكن السبت إجازة رسمية .



قال صلاح : صحيح .. صحيح .. لقد نسيت ، أجمل شيء حدث في أواخر عصر مبارك هو إجازة السبت هذه ...

قال أسامة مندفعاً : إجازة السبت فقط ؟ وكادر المعلمين ، ومكافأة الامتحانات و...

انتهز أشرف فرصة كلام أسامة وهمَّ أن يردَّ عليه ، وأدرك أسامة ذلك فقال لأشرف متظاهراً بالذعر : أنا لم أوجِّه الكلام إليك يا أشرف ، أنا كنتأكلِّم صلاح ، أليس هذا صحيحاً يا جماعة ؟!

وضحك الأصدقاء فقد كان منظر ذعر أسامة من أشرف مثيراً للضحك .



قال حسن لأسامة : أنا أريد أن أعرف لماذا هذا الخوف من أشرف ؟ مع أنكما صديقان حميمان .

قال أسامة : لقد صادقته لأتقي شره فأشرف له عينان لو نَدَّ طْهمُا على الثلَّج لاشتعل .



قال حسن : لم ألحظ ذلك على أشرف أبداً ...

قال أسامة : أنت يا شيخ حسن رجل طيب والقرآن الذي تحفظه يحفظك من عيني أشرف الفتاكتين اللتين ما نظر بها إلى شيء معي إلا فقدت هذا الشيء ...

غرق الجميع في بحر من الضحك .



ولم يتوقف أسامة عن الكلام : سيارتي ، بعد أن نظر إليها الأسبوع الماضي وأنا أضعها في " Garage " وأركب المترو أو الأتوبيس أو أي وسيلة مواصلات أخرى ، ولا أقترب من السيارة التي لم أسدد أقساطها بعد ، أتسمع يا أشرف لم أسدد أقساطه بعد ؟!!



لم يتوقف الأصدقاء عن الضحك إلا بعد أن جاء العامل بالشروبات المثلّجة ، وقدمها لهم .



قال أشرف لأسامة : مشروبات ماذا ؟ لقد دعوتنا على الـ َعشَاء أنسيت ؟!

***

بسبب إصابة مدرس بضغط الدم

قال أسامة للعامل : أحضر لنا الطعام يا بني بسرعة .

قال أشرف للعامل : أحضر كل ما عندكم : لحوم ، دجاج ، أسماك .. أحضر : المشوي ، والُمحمَّر ، والَمقْلي ...

عاد الأصدقاء إلى مواصلة الضحك .



قال أسامة لأشرف : أتريد أن تقتلنا كلنا مصابون بأمراض مهنة التدريس : ضغط ، وسكر ، وضعف بصر ...

قال صلاح : ولا تنسَ الصَدلَع ، والكِرْش ، وهشاشة العظام.

قال حسن مازحاً : هذه ذنوب الطلاب الذين تستغلونهم أبشع استغلال .

قال أشرف : أنت عندك ، ضغط وسكَّر مثلنا .



قال حسن وقد اختفت من شفتيه ابتسامته الدائمة : الحقيقة أن الضغط الذي أصابني كان بسبب المدرسين لا الطلبة ، أما السكر فقد كان بسبب موت أخي رحمه الله .

قال صلاح : كيف حدث ذلك ؟

قال حسن : كان هذا سنة ٢٠٠٠ عندما كنت في مدرسة مصر القديمة الثانوية ، وأثناء حصة احتياط قالت لي بعض الطالبات وكن ممن درَّست لهن العام السابق : نريد منك يا أستاذ أن تعلِّمنا كيف نكتب شكوى .

قلت ضحاكاً : تكتبن شكوى فيمن ؟

في البداية رفضن الإفصاح عن المشكو في حقه ، وبعد إلحاح مني قلن لي : الأستاذ علاء مدرس اللغة العربية ، لا نفهم من شرحه شيئاً ، وبعض المعلومات التي يقولها غير صحيحة ، رحم الله أيام العام الماضي يا أستاذ عندما كنت تدرس لنا ، كنا نفهم منك وتشجعنا على تحضير الدروس ، والمذاكرة ، وتصحح لنا الأخطاء و... المهم قلت لهن : بحقي عليكن أن تؤجلن موضوع الشكوى هذه ، وأنا سأعمل على حل المشكلة .

وبعد الحصة انتحيت بعلاء جانباً وأخبرته بكل إخلاص بالأسلوب المناسب للتعامل مع طالبات هذا الفصل حتى يكن معه كما كن معي العام الماضي ، وفوجئت بعلاء يقول غاضباً : هل يشتكي الفصل مني لك ؟!

قلت له : المسألة ليست شكوى إنما طريقتك في الشرح فقاطعني قائلاً : لا دخل لك بهذا الموضوع واتركه لي .

ومرت أيام والعلاقة يوماً بعد يوم تسوء بين طالبات الفصل وعلاء لدرجة أن الطالبات كن يخرجن من الفصل عندما يدخله علاء ، وأخيراً كتبن شكوى للإدارة التعليمية ، وجاءت عدة لجان من الإدارة للتحقيق ، وكلها أدانت علاء ، ومع ذلك أشاع علاء أني أنا الذي حرَّضت الطالبات ليتمردن عليه ويشكونه ، وتضامن معه المدرس الأول المشرف لخلاف كان بيني وبينه ، واستغلَّ مدرس آخر فاشل هذا الأمر وراح يشيع أني أخذت منه طالبات فصله وحرضتهن عليه كذلك ، ويعلم الله كيف كنت أساعد هذا المدرس ، والعجيب أن معظم مدرسي اللغة العربية قد صدَّقوا هذه الاتهامات وراحوا يلومون عليَّ ، وتحوَّلت فجأة من رجل خلق ودين إلى شيطان رجيم ،



وطلب المدرس الأول من التوجيه وجوب نقلي من المدرسة ، ومرَّت بي أيام من أشد أيام حياتي كَرْباً .

قال صلاح بتأثر : وأنت رغم عقلانيتك الظاهرة رجل عاطفي شديد الحساسية .

قال حسن : ما كان يضايقني حقاً أن تكون هذه الاتهامات المريرة التي ألصقها بي هؤلاء جزاءً للمعروف الذي قدمته لهم.

قال أشرف وقد اكتسى وجهه الضاحك كآبة : وماذا حدث بعد ذلك ؟

قال حسن وهو يحاول أن يرسم ابتسامة على شفته : بعد ذلك دبَّ الخلاف بين علاء والمدرس الأول ، نقل على أثره علاء إلى مدرسة أخرى ، ثم نقل إلى مدرستنا مدرس أقدم تعيناً من المدرس الأول المشرف ، ودار بينهما صراع طويل نقلا على أَثَرِه من المدرسة ، وهذا الصراع له حكاية سوف أحكيها لكم في وقت آخر .

قال صلاح : لقد انتقم الله ممن ظلمك .

قال حسن : ولكن بعد أن أصبت بالضغط ، ولكن الحمد الذي لا يُحْمَد على مكروه سواه .



قال صلاح وقد بدا عليه التأثُّر الشديد : لماذا لم تخبرني يا حسن بهذا الموضوع في حينه ؟! وأين هؤلاء الآن ؟

قال حسن وهو يربت على كَتِف صلاح بحب وامتنان : هذا موضوع قديم يا صلاح وانتهى ، ولم أسامح كل من أساء إليَّ فقط بل دعوت الله لهم بالمغفرة .

قال صلاح وهو ما يزال مُتأثِّرًا بحكاية حسن : كيف تسامح هؤلاء الظالمين المفترين ؟!!

قال حسن : بعد هذا الموضوع منَّ الله عليَّ بعمرة في شهر رجب سنة ٢٠٠٠، وكنت ما زالت مُتأثِّرًا بهذا الموضوع ، وعندما وجدت نفسي أما الكعبة المشرفة ما كان لأدعو على أحد في هذا المقام فلم أملك إلا أن أسامح كل من أساء إليَّ وأدعو الله له بالمغفرة .

قال أشرف : سامحك الله يا أسامة لماذا ذكَّرتنا بالمرض أتريد أن تصرفنا عن الطعام الذي دعوتنا إليه ؟

قال حسن : أنا آسف يا جماعة فقد أثرتُ شجونكم ، وقطعت عليكم ضحككم .

***



هل تجوز الصلاة في السفينة ؟

جاء العامل ليستأذن في إحضار الطعام .

قال حسن : نؤجِّل الطعام إلى بعد الصلاة .

قال أسامة : نأكل ، ثم نصلي بعد ذلك .

قال حسن : إذا أكلنا ، فستفوتنا صلاة المغرب .

هيا يا جماعة .. وقت المغرب قصير ويمر بسرعة .. قم يا أسامة .. قم .

بعد أن قال صلاح ذلك استدرك : أنا آسف .. يا أسامة ، نسيت أنك لا تصلي .

قال أسامة غاضباً : من قال لك هذا ؟ .. أنا أصلي والحمد لله .

قال حسن : حرام عليك يا صلاح .. الرجل كان يصلي دائماً معنا .



قال صلاح ضاحكاً : هذا عندما تكون موجوداً فقط .. وعندما لا تكون موجوداً لا يصلي معنا ويتعلل بأي شيء .. أليس كذلك يا أشرف ؟!

كان أشرف مشغولاً بالحديث في التليفون فقال أسامة : لا .. لا .. أرجوك لا تستشهد بأشرف .. أشرف على استعداد أن يشهد على أني الذي أحرقت أقسام الشرطة ، وفتحت السجون، وقتلت المتظاهرين في ثورة يناير ، مع أني كنت في الإمارات في ذلك الوقت !

بعد أن انتهى أشرف من الحديث في التليفون سأل : ما الأمر ؟ .. سمعتكم تذكرون اسمي .

قال أسامة بسرعة : نذكرك بكل خير .. هيَّا بنا نصلي .. هيَّا بنا يا شيخ حسن .. لكن قل لي يا شيخ حسن ، هل يجوز الصلاة في السفينة ؟!

قال حسن : نعم يجوز يا أسامة . إذا كنت لا تريد الصلاة فلا تصرفنا عنها .

قال أسامة : أنا أكنت أسأل فقط .. كنت أسأل .. هيَّا بنا ، لكن لا أعتقد أن هناك مكاناً للوضوء والصلاة .



قال حسن : توضأ في الحَمَّام ، وسوف نصلي في أي مكان.

قال أسامة : وهل يجوز الوضوء في الحَمَّام ؟!

قال صلاح لأسامة : أنا أعرف الأسئلة التي ستسألها بعد ذلك ، وكيف نحدِّد اتجاه القبلة ؟ وإن استطعنا تحديدها فمن الجائز أن السفينة تغير اتجاهها فما هو الحل ساعتها ؟ وماذا لو عدنا بعد الصلاة فوجدنا المائدة التي نجلس عليها قد جلس عليها آخرون ؟ وماذا لو ...

قاطع حسن صلاحاً قائلاً : هيَّا بنا يا صلاح ، ومن يرد أن يصلي معنا فليلحق بنا .

أدَّى جميع الأصدقاء الصلاة التي أمَّهم فيها حسن وقد انضم إليهم بعض ركاب السفينة والعمال .

***

الفرق بين ملء العين وكسرها ؟

حضر الطعام وبدأ الأصدقاء يأكلون ، وكان أسامة يُكدِّس الأطعمة المختلفة في طبق أشرف .يُمْسك بالشيء ويقرِّبه من عين أشرف وهو يقول له مازحاً : كُلْ يا أشرف .. كُلْ .. املأ بطنك ...

قال أشرف : عيني يا أسامة .. أبعد الطعام عن عيني .. كَفَى مزاحاً .. الطعام سيدخل في عيني .

قال حسن : أتريد أن تملأ بطنه أم عينه ؟

قال صلاح : هو يريد أن يملأ عيني أشرف حتى لا تحسدانه بعد ذلك .

قال أشرف وقد تظاهر بالوقوف والانصراف : هذا ليس ملء عين بل كسر عين ، وأنا لا أقبل أن يكسر عيني أحد ، أنا لن آكل ...



قام أسامة بسرعة من مكانه وحضن أشرف وقال له معتذراً : أنا أمزح معك يا أشرف .. أمزح معك .. أنت حبيبي ، وأنت تعرف هذا .. والله أنا كنت ...

قال صلاح : كفى يا أشرف لأن صاحبك صدَّق أنك ستترك الطعام حقيقة ، مع أنك لن تترك الطعام ولو حدث زلزال .

أشرف هذا الذي يتظاهر بترك الطعام في زلزال ٩٢ كان يعطي درساً وقدَّم الطالب له بعض قطع " Jatoh " بمناسبة عيد ميلاده ، ووقع الزلزال ، ورفض أشرف ترك " Jatoh " وهو يقول للطالب الذي يحثه على النزول لأن العمارة تنهار ، وأشرف يقول له وفمه ممتلئ بالطعام : اهدأ يا بني الأعمار بيد الله ، وعندما اشتد الزلزال أخذ بقية " Jatoh " وهرب .

ضحك الأصدقاء .



قال أشرف لصلاح : يا نصَّاب .. أنا لم أفعل هذا إنما الذي فعل ذلك سمير علوم زميلنا .



قال صلاح : أيام الزلزال كانت أياماً عجيبة .

قال أسامة : لا تذكرونا بهذه الأيام الحزينة .

قال صلاح : كانت أياماً حزينة نعم ، لكن حكاياتها لطيفة .

بعد أن انتهى الأصدقاء من تناول الطعام ، والعجيب أن أشرف أكثر الأصدقاء حديثاً عن الطعام كان أقلهم أكلاً .

قال صلاح بمناسبة الزلزال فقد حدثت حكايات كثيرة طريفة...

***



بقية حكاية البيت المشبوه

قاطع حسن صلاحاً قائلاً : قبل أن تحكي ، نسمع بقية حكاية أشرف التي من كثرة المقاطعة له كدنا أن ننساها .

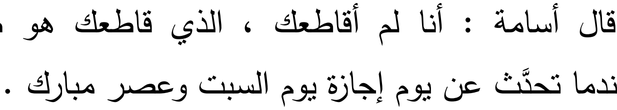
قال أشرف ضاحكاً : حكاية ماذا ؟ أنا لا أتذكر شيئاً !

قال حسن : حكاية الطالب الذي كنت تعطيه الدرس في الجيَّارة والذي ...

قال أشرف : نعم .. نعم .. تذكرت .. تذكرت ، سامحك الله يا أسامة لقد أنسيتني الحكاية .

قال أسامة : أنا لم أقاطعك ، الذي قاطعك هو صلاح عندما تحدَّث عن يوم إجازة يوم السبت وعصر مبارك .

قال صلاح : أنا لم أقل غير جملة واحدة ، ثم انطلقت أنت تحسدنا على الكادر و....



قال حسن وقد همَّ أسامة بالرد : يا جماعة .. يا جماعة .. اتركوا أشرف يكمل حكايته قبل أن ينسى .

قال أشرف مازحاً : حكاية ماذا ؟

ضحك الأصدقاء



وأكمل أشرف حكايته قائلاً : بعد أن أعطيت الطالب الحصة قررت ألا أعطيه درساً في هذا البيت أبداً ، إن كان يريد درساً ينضم لإحدى المجموعات الأخرى ، ولاحظت أن هذا الطالب وعدة طلاب آخرين قد تغيبوا عن المدرسة لعدة أيام وعندما استفسرت عن الأمر اكتشفت أن الشرطة قد داهمت الجيَّارة وقبضت على كثير من تجار المخدرات .

قال حسن : الحمد لله ، أنك انقطعت عن الذهاب إلى هذا الطالب وإلا ..



قال صلاح ضاحكاً : وإلا كان الآن في سجن طرة ، وارتاح أسامة منه ومن عينيه .

وضحك الأصدقاء .



قال أسامة : أنا لا أستبعد أن يكون شريكاً لهذا الطالب في بيع المخدرات وإلا فمن أين قد اشترى شقته التمليك ، و...

ضحك الأصدقاء ، وأسرع أسامة يستدرك قبل أن يردَّ عليه أشرف : أنا أمزح يا أشرف .. والله أمزح .

وضحك الأصدقاء .



***

وكان ما لستُ أذكره

ثم قال أسامة : لقد حدثت لي حكاية في منطقة قريبة من المنطقة التي تحدَّث عنها أشرف مع طالبتين ، ولكن لا أستطيع أن أقُصَّها عليكم لسببين ، أولاً لوجود الشيخ حسن ، ثانياً لوجود أشرف الذي يتصيِّد لي مثل هذه المواقف ويهددني بها .

قال صلاح : طالبتان كانتا تبيعان المخدرات ؟

قال أسامة : كانتا تبيعان شيئاً آخر لا داعي لذكره .

قال أشرف لأسامة : يا فاسق .. أقم عليه الحد يا شيخ حسن .. أقم عليه الحد .

وضحك الأصدقاء



وأثناء ضحكهم قال أسامة : اخفض صوتك يا أشرف ؛ الناس تنظر إلينا .. والله يا شيخ حسن أنا لم أفعل شيئاً هما اللتان كانتا ... كانتا ...

قال أشرف وقد غضَّ من صوته : كانتا ماذا يا فاسق ؟ .. كانتا ماذا ؟ .. تكلَّم .. تكلَّم يا جبان .

قال حسن : يا أشرف إن الله حليم ستَّار .

وقديماً قال ابن المعتز عن مغامرة قام بها :

وَجَاءَنِي فِي قَمِيصِ اَللّيلِ مُسْتَتِرًا

يَسْتَعْجِلُ الخَطْوِ مِنْ خَوْفٍ ومِنْ حَذَرِ

فَقُمْتُ أَفْرِشُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لَهُ

ذُلاً وأَسْحَبُ أَذْيالي عَلَى الأَثَرِ

وَلاحَ ضَوْءُ هِلالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا

مِثْلُ القُلامَةِ قَدْ قُصَّتْ مِنْ الظُّفْرِ

فكانَ ما كانَ مما لستُ أذكرهُ

فَظُنَّ خَيْراً ولا تسألْ عَنْ الخَبَرِ



اغْتفِـــر زَلَّتِي لِتحُـــرِزَفَ ضْــلِ

الشُّــكْرِ مِنِّ يلاَوَيفوُتكَ أَجْــرِي

لا تكِلْنِي إلى التَّوَسُّـــــلِالبِعُ ــذْرِ

لَعَلِّي ألا أَقُــــوِمُبِعُ ــذْرِ!

قال أسامة : لا افهم شيئاً .

قال أشرف : إذن اشرح يا حسن ، واذكر ما لم يذكره أسامة، وابن المعتز .

صاح أسامة : شكراَ .. شكراً .. لقد فهمت .. فهمت .



قال أشرف : إذن أنت معترف بأنك ...

قال أسامة متوسلاً : أقسم بالله أنا لم أفعل شيئاً .. لم أفعل .. وعموماً أنا آسف أن ذكرت هذا الموضوع أمامكم .. حتى أنت يا شيخ حسن تعزف على وتر أشرف .



قال حسن وهو يضحك : أنا لم أتهمك بشيء ، أنا فقط ذكرت أبياتا لابن المعتز لم يشأ أن يصرِّح فيها بما حدث معه، كما فعلت أنت ، والشيء بالشيء يذكر .

وعمواً لا تغضب فليس ابن المعتز من فعل ذلك فأبو حامد الغزالي قال نحو هذا .

قال أسامة مستبشراً : ماذا قال الغزالي ؟ أنا أعرف أنه شيخ كبير ، وأكيد ما لم يرد ذكره كان خيراً ، وليس كما يظن أشرف .

قال حسن : يشير الغزالي في كتابه " المنقذ من الضلال "..

صاح أسامة متهللاً : أنقذني .. يا شيخ حسن .. أنقذني .

وضحك الأصدقاء من شكل كلام وتهليل أسامة .



وقال حسن : انتظر يا أسامة حتى تسمع كلام الغزالي .

قال أسامة : إن شاء الله خيراً .. ما دمت قد قلت كلمة الإنقاذ .. فخير إن شاء الله .

قال حسن : يقول الغزالي : متحدثاً عن الزُّهاد المتصوفين الذين يرتقون في علاقتهم بالله تعالى حتى يصلوا إلى درجات لا يستطيعون التعبير عنها : " ثم يترقى الحال –بالصوفي– من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق. ولا يحاول معبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه ، ويوصي الذي لابسته تلك الحالة ألا يزيد على أن يقول:

وكَانَ َما كَانَ مما لَسْتُ أَذْكُره

فَظُ نَّ خَيْراً ولا تَسْأَلْ عن الخَبرِ

قال أسامة : الله .. الله .. فتح الله عليك يا شيخ حسن .

صاح أشرف : أنا أتحدى أسامة إن كان قد فهم شيئاً من كلام الغزالي .. إنما هو فقطيريد أن يغطِّي على جريمته .

وضحك الأصدقاء .





قال أسامة : يكفي هذا اليوم لقد تأخَّرنا كثيراً ورحلة السفينة أوشكت على الانتهاء .

قال أشرف : أتطردنا .. وأنت الذي دعوتنا ؟ عقوبة لك تدعونا إلى الغداء الأسبوع القادم .

قال صلاح : أنا أدعوكم للغداء في نادي النيل . أتذكرون نادي النيل ؟

قالوا : وهل أحد ينسى نادي النيل .. لقد كان ملتقانا الرئيسي في الصيف أيام مدرسة الروضة .

* * *


الفصل الثالث
في نادي النيل

درس حفيد بيبرس

في نحو السابعة والنصف مساء اكتمل اجتماع الأصدقاء على مائدة خشبية كبيرة على شاطئ النيل في نادي النيل الرياضي .

قال أسامة إنجليزي : في كل مرة كنت أعود فيها من السفر لا بد أن آتي إلى هنا .. أتصل بأشرف ونتقابل هنا ، ونستعيد ذكريات أجمل سنوات عمرنا .

قال أشرف : وفي كل مرة نلتقي لا يدعوني على شيء من حلويات " لارين " إنما دائما يدعوني على " سندوتشات الفول والطعمية " !

قال أسامة : إنها تذكرنا بأيام زمان الجميلة .

قال أشرف : إنها لا تذكرني إلا ببخلك وشحك ، مع أن الله أعطاك ...



أسرع حسن ينقذ اللقاء الذي ما زال في أوله من هذه المشاكسة الدائمة فقال : أسامة .. أشرف .. بالله عليكما كفى هذا المزاح الذي تُصَدِّعون به رءوسنا كل مرة .

قال رفعت رياضة : أهما لم يَكُفَّا عن هذه المشاكسة ؟!

قال أشرف : سَنَكُفُّ عن هذه المشاكسة بشرط أن تكُفَّ أنت عن مشاكسة حسن وكثرة مقاطعته .. يا رفعت نحن نحب حسن ونحب حكاياته ، وأنت الذي تفسد علينا هذه الحكايات الطريفة .

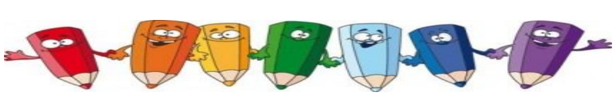
قال صلاح : احكِ لنا بعض طرائفك يا حسن .

قال حسن : لقد تكلَّمتُ كثيراً في المرتين السابقتين ، ونريد أن نسمع منك .. احكِ لنا موضوع حفيد بيبرس .

قال صلاح : هذا موضوع قديم .

– احْكِهِ لنا ، ما دام حسن قال لك احْكِهِ فلا بد أن يكون طريفاً .

قال صلاح : كنت أدرِّس لطالب في المعادي أمام مكتبة المعادي العامة ، مكتبة سوزان مبارك سابقاً .



قال رفعت : أنا آسف على المقاطعة ، لكن أريد أن أعرف رأيكم في تغيير اسم مبارك ، وسوزان بأسماء أخرى بعد ثورة يناير .

قال حسن : معذرة لمقاطعة المقاطعة فهناك خطأ لغوي شائع يقع في أغلب الناس حتى الخُطَباء والكتّاب ، فكلام رفعت عكس مراده ، وكان عليه أن يقول يستبدلون أسماء أخرى باسمي مبارك ، وسوزان ؛ فالباء تتدخل على المتروك ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة : ٦١]

أنا آسف يا صلاح فالمهنة لها حكمها كما يقول رفعت .

قال صلاح وهو ينظر لرفعت : أنت يا حسن مسموح لك وحدك أن تقاطعني كما يحلو لك .

ضحك الجميع .



وهمَّ صلاح باستئناف كلام فإذا برفعت يقول : ولكنكم لم تجيبوني علي السؤال الذي سألته .



قال حسن موجهاً كلامه لرفعت : خطأ لغوي آخر قل : أجب عن ، ولا تقل أجب على .

قال أسامة : لقد سَرَت عَدْوى مقاطعاتك لي يا أشرف فشملت الجماعة كلها .

قال حسن وهو يبتسم : إن من يقاطع من يتكلم بعد ذلك يُغرَّم بأن يدعونا على العشاء .

قال أسامة : أليس ذلك مَيْسِر يا حسن ؟

قال أشرف : إذن أنت يا أسامة الذي تدعونا على العشاء اليوم .

ضحك الجميع .



وقال أسامة : لا .. لا .. ليس كل مرَّة ، أنا كنت أسأل حسناً سُؤالاً دينّياً قبل أن يبدأ صلاح حكايته .



قهقه الجميع فقد كان منظر أسامة مثيراً للضحك وقد قفز من كرسيه وأخذ يشير بالسبابة يميناً وشمالاً بسرعة ويقول : لا .. لا .



قال صلاح : لا تقلق يا أسامة فالعشاء عليَّ اليوم ، وإن شئت قمتُ الآن لإحضاره .

قال أسامة : أكمل حكايتك أولاً ثم أحضر العشاء .

قال صلاح : لقد نسيت ماذا كنت أقول .

وقبل أن يُذكّره حسن قال صلاح : نعم .. نعم .. لقد تذكَّرت قصة ضياء بدر .

قال رفعت : ضياء من ؟ .. أنت كنت تتكلم عن قطز وبيبرس وشجرة الدر .

قال صلاح وهو يُغَالب الضحك : تقصد حفيد بيبرس ، فضياء هذا هو حفيد بيبرس ، المهم كنت أعطي لضياء هذا



درساً وهو ابن بدر باشا أحد رجال الأعمال ، وأمه إسبانية غنيَّة ، كنت أرى أن ضياء هذا قد منَّ الله عليه بكل متع الحياة الدنيا : الثراء العريض ، وجمال الشكل ، وقوة البنية ، لقد وضعت له أمه ١٥ مليوناً جنيه في البنك باسمه كما قال لي ، وكان أبيض الوجه مُشْرَب بحُمْرة ذا عينين زرقاوين ويسكن في شقة فاخرة و... ومع ذلك ما ذهبت له إلا وأجده مهموماً مكتئباً ، وفي يوم ، وقبل أن أبدأ الدرس سألته عن سبب حزنه وشقائه فقال لي : عندي مشاكل كثيرة .. كثيرة.

قلت له : اذكر لي أهمها ربما ساعدتك في حلها أو على الأقل التخفيف عنك ، فأنا لا أستطيع أن أعطيك الدرس وأنت بهذه الحالة السيئة .

قال ضياء : المشاكل كثيرة .. كثيرة .

قلت له : مثل ماذا ؟ لا بد أن تحدد مشاكلك ؛ فتحديد المشكلة أول خطوة في حلها .

قال : هنا ، أي في مصر ، لا أستطيع أن أخرج للفسحة كما كنت في إسبانيا فليس أمامي إلا " Maadi grand mall " الذي أذهب إليه ، ومكتبة سوزان مبارك ، وأماكن قليلة أخرى.

قلت له : وماذا أيضاً ؟

قال ضياء : وهناك فرقة موسيقية إنجليزية أحب أغانيها ، ولا أستطيع أن أحصل على أحدث " Album " .

– وماذا أيضاً ؟

– لا يوجد أحدث " models " في الملابس ، وأحدث "accessories ".

– وماذا أيضاً ؟

– المواد الدراسية التي يجب عليَّ دراستها طويلة وصعبة ومملة .

– وماذا أيضاً ؟

– هل ما ذكرته لك قليل ؟! إنها أشياء مهمة جداً .

قلت له وقد نفد صبري : لقد آتاك الله من كل شيء ؛ فلماذا هذا البَطَر . إن ملايين البشر في العالم يحسدونك على ما أعطاك الله من نعم ، وأنت غير راضٍ !!

ماذا ستفعل إذن لو كنت واحداً من هؤلاء الذين يموتون من المرض ، وسوء التغذية ، والحروب ، والصراعات : العرقية، والمذهبية و... ؟!



قال أشرف وهو يمسح على كتف أسامة : الإنسان دائماً طمَّاع ولا يرضى بما قسمه الله له أنا أعرف إنساناً آتاه الله من كل شيء : سفر إلى الإمارات ، وسيارة فارهة ، وأموال طائلة و...

وغرق الجميع في الضحك .



وصاح أسامة وهو يمسح على كتف أشرف ويقول ، وأنا أعرف إنساناً عنده شقة تمليك في مدينة نصر ، وعنده و....

وضحك الأصدقاء حتى التفت إليهم كل من كان يجلس بجوارهم من رواد النادي .



قال رفعت بعد أن هدأ الأصدقاء واستقرَّ بهم المجلس : وما علاقة هذه الحكاية ببيبرس وقطز ؟

أكمل صلاح قائلاً وكأنه لم يسمع رفعت : ثم قلت لضياء أما عن مشاكلك العويصة !! فحلها سهل جداً جداً ولن يكلفك كثيراً فبالنسبة لأماكن الفسحة ، فمصر مليئة بالأماكن الجميلة التي يأتي السياح من كل مكان في العالم لمشاهدتها أماكن لا توجد في إسبانيا نفسها ففي الصيف هناك : شرم الشيخ في جنوب سيناء ، والمنتزه والمعمورة في الإسكندرية ، ومارينا في الساحل الشمالي ، و... ، وفي الشتاء : هناك الأُقْصُر ، وأسوان ، والغردقة و...

أما بالنسبة للفرقة الموسيقية فيمكن أن تحمِّل أغانيها الحديثة من Internet . وبالنسبة للملابس فهناك محال في : مصر الجديدة .. روكسي .. مدينة نصر .. ووسط البلد .

أما بالنسبة للمواد الدراسية التي تشكو منها فهناك ملايين من الطلاب غيرك درسها وامتحن فيها ونجح وتفوق فليس الأمر قاصراً عليك وحدك ، والطالب الناجح الذي يقول : أنا أقدر .. أنا أستطيع .. أنا سأتفوق ، والفاشل الذي يقول : لو ألَغْوا مادة كذا .. لو جاء الامتحان سهلاً .. لو .. لو .



قال أشرف ضاحكاً : ولكنك نسيت شيئاً يا صلاح كان عليك أن تذكر له " العين السخنة " من بين الأماكن السياحية الجميلة .

قال صلاح : ولماذا " العين السخنة " تحديداً ؟

قال أشرف وهو يشير لأسامة : لأن أسامة عنده شقَّة جميلة هناك .

صرخ أسامة : يا جماعة ارحموني من هذا الرجل ...

قال حسن : إذا لم تكف أنت وأشرف عن هذه المشاكسة سأطردكم من الفصل ، أقصد المجلس ، أقصد النادي .

وضحك الأصدقاء طويلاً .



قال رفعت : إلى الآن لم نعرف ما علاقة هذه الحكاية بصلاح الدين الأيوبي ؟

قال صلاح : تقصد بيبرس .. عندما كنت أدرِّس لضياء دولة المماليك ، وجاء ذكر بيبرس .



قال لي : أتعرف يا أستاذ أني حفيد بيبرس .

قلت له : كيف عرفت ذلك ؟!

قال : أخبرني أبي بذلك .

قال رفعت : وكيف عرف أبوه ؟ إن الواحد لا يعرف أكثر من جد أبيه أو جد جده على الأكثر .

قال صلاح : لقد سألت ضياء نفس سؤالك هذا .

فقال لي : أخبرني أبي أن أصولنا غير مصرية إنما من شمال وسط آسيا ، وتحديداً من كازاخستان وهذا البلد مسقط رأس بيبرس قبل أن يُـبَـاع لفارس الدين أقطاي .

وعندما لا حظ ضياء عدم اقتناعي قال : أليس بيبرس من قبجاق ؟

قلت : أنا أعلم أنه جُلِب من آسيا الوسطى .

قال : من قبجاق تحديداً ، ألم تقرأ قصة وا إسلاماه ؟!

قلت : قرأتها قديماً عندما كنت طالباً في المرحلة الثانوية .

أسرع ضياء وأحضر قصة وا إسلاماه طبعة فاخرة مجلدة ليست الطبعة المدرسية الرديئة ، وبسرعة فتح القصة على



صفحة معينة ، وقال اقرأ يا أستاذ الكلام الذي تحته خط وقرأت كان فيه أن بيبرس من قبجاق .

قال أشرف : أنا سمعت كلمة قبجاق هذه .

قال حسن : في قصة وا إسلاماه مكتوب نصاً عن بيبرس " الغلام القبجاقي الأشقر ذو العيون الزرق " .

قال رفعت : هل تحفظ قصة " وا إسلاماه " أنا أحس أنك أنت وصلاح تؤلفان لنا قصة خيالية ، فأنت الذي قلت لصلاح احكِ لنا قصة حفيد بيبرس ، وأنت الآن الذي تذكر لنا نصاً ما كُتِبَ في قصة وا إسلاماه .

همَّ صلاح أن يرد ، ولكن حسن أشار إليه أنه هو الذي سيتولى الرد ، وقال : أولاً أنا بالطبع لا أحفظ كل قصة وا إسلاماه يا رفعت إنما التعريف ببيبرس وبأصله وبصفاته الجسمية والنفسية من المواضع المهمة في القصة ، وهو موضع سؤال مهم ؛ لذا أحفظه ، أنسيت يا رفعت أني أدرِّس هذه القصة منذ أكثر من ربع قرن .

ثم قال حسن مازحاً : إن كان الكلام الذي ذكرته عن بيبرس غير مذكور بالنص في القصة فإن حكاية صلاح ستكون

مُخْلَقَ ة ، وإن كان موجوداً كما ذكرته فلا تقاطع أحداً بعد ذلك في أية حكاية .

ضحك الجميع .



وقالوا : ما رأيك يا رفعت ؟ أتقبل التحدي ؟

قال رفعت : ومن يُ حْضِر لنا القصة الآن ؟

قال حسن : هي موجودة في موقع وزارة التربية والتعليم وغيره من المواقع .

قال أسامة : أنا سأبحث عنها في Internet الآن .

قال رفعت بسرعة وهو يضحك : لا .. لا .. أنا أثق في كلام حسن ، وأنا أعرف مدى براعته في اللغة العربية .

ضحك الأصدقاء .





وقالوا : لا تقاطع أحداً ، ولا تشكك في أية حكاية ، وارحمنا من تعليقاتك التي تفسد علينا الحكايات .

قال حسن : بالمناسبة كان رفعت في المرة سابقة قد شكّك في حكاية المرأة المسكينة التي حكيتها لكم من قبل ، وقال إن ادعاء المرأة أن زوجها قد حُبِس بسبب مخالفته التسعيرة إدعاء كاذب بدعوى أنه في بداية التسعينات كان قانون التسعير قد أُلْغِيَ ، ولقد بحثت عن هذا القانون ووجدت أنه كان معمولاً به في التسعينات وعندي في البيت نص هذا القانون ، بل عندي نص القانون الذي صدر بعده سنة ١٩٩٦ ، وينص على حبس من يبيع الفاكهة والخضراوات بأسعار أغلى من التسعيرة التي تحددها وزارة التموين .

قال رفعت ضاحكاً : أنا لا أشكّك في كلامكم إنما أنا أمزح معكم ، كما أن طبيعة مهنتي كمدرس رياضة تعلّ مني أن أتأكد أولاً من دراسة الْمُعْطَيَات جيداً حتى تكون النتيجة صحيحة .

قال صلاح : اقتنعت يا رفعت أم تريد معطيات أخرى ؟

قال رفعت مازحاً : لكن قل لي يا صلاح بصراحة هل اقتنعت بكلام هذا الطالب ؟

قال صلاح : الحقيقة أني شككت في كلام ضياء ولم أقبله بسهولة ، واجتهد ضياء في إقناعي بانتسابه لبيبرس ، وأخذ يسرد الأدلة : أبوه من كازاخستان أو قبجاق مثل بيبرس ، وأنه هو وأبوه يتمتعان بالقوة الجسمانية ، وإجادة السباحة مثل بيبرس الذي كان معروفاً عنه أنه يستطيع عبور النيل سباحة وهو يرتدي درعه دون أن يشعر بتعب ، كما أن ضياء كان مثل بيبرس : أشقر ، وذو عينان زرقاوان .

مال صلاح على حسن وقال له : عينان زرقاوان ، أليس هذا هو النطق الصحيح ؟

أومأ حسن برأسه بالموافقة .

قال رفعت : ولكن حسن قال صفات بيبرس كما جاءت في القصة أنه " الأشقر ذو العيون الزُرْق " وليس كما قلت يا صلاح " العينان الزرقاوان " وهناك اختلاف بين هذا وذاك .

وضحك الأصدقاء طويلاً من دعابة رفعت .



وأكمل صلاح : وكان ضياء ، والشهادة لله ، أشقر ذا عينين زرقاوين حقيقة ، كما كان قوي البنية مثل بيبرس كما قال لي حسن يوم أن ذكرت له قصة ضياء في حينها ، ومال إلى تصديقها .

قال رفعت مازحاً : ألم تقل إن أمه إسبانية ؟ فلماذا لا يكون قد ورث زرقة العينين من أمه وليس أبيه ؟

وضحك الأصدقاء .



وقالوا : رفعت لن يتغير أبداً .. لا فائدة من إقناعه .

قال صلاح : أنا أجيبك عن سؤالك يا رفعت ؟

ثم قال صلاح لحسن : عن سؤالك ، وليس على سؤالك ؟

أومأ حسن بالموافقة وهو يبتسم ثم أكمل صلاح قائلاً : الحقيقة لقد رأيت أبا ضياء كثيراً بل وجلست معه عدة مرات ، ولقد كان بالفعل قوي البنية ، أشقر ، ذا عينين زرقاوين أو ذا عيون زُرْق أيرضيك هذا يا رفعت ؟! أما أمُّ ضياء فقد رأيتها



عدة مرات ولكن لم أتكلَّم معها ؛ فهي لا تعرف العربية ، وأنا لا أعرف الإسبانية ، ولم أدقّق النظر في وجهها وعينيها .

قال حسن : صلاح مؤدب وعنده حياء .

وهنا قال أشرف صائحاً وهو ينظر لأسامة : ليس كأحد أصدقائنا ، أتذكرون قصة الفتاتين اللتين ذكرها الأسبوع الماضي ، اللتان كانتا تبيعان ... لم تقل لنا يا أسامة ماذا كانتا تبيعان .. قل ماذا كانتا تبيعان ؟

ضحك الأصدقاء .



قال رفعت موجهاً الكلام لأسامة : ما موضوع الفتاتين هاتين لم أسمع حكايتهما .

قال أسامة : ليس هناك حكاية ، أو شيء ، المهم يا رفعت هل اقتنعت بحكاية حفيد بيبرس ؟! أم تريد تحليل " DNA " حتى يطمئن قلبك ؟



ضحك الأصدقاء .



ثم قال رفعت : وما قيمة حفيد بيبرس ؛ فأنا قد درَّست لحفيدة الملك فاروق شخصّياً .

قال صلاح : كيف هذا ؟

***



درس حفيدة الملك فاروق

قال حسن : لقد حكَى رفعت لي هذه الحكاية من قبل ، لكن هذا كان منذ زمن بعيد .. احكِ لنا يا رفعت هذه الحكاية .

قال أسامة : معذرة يا رفعت قبل أن تحكي ، لقد قاربت الجلسة على الانتهاء ولم نتناول شيئاً غير العصير والشاي .. أين العَشاء ؟ .. أين العشاء يا عم صلاح الذي وعدتنا به ؟

قام صلاح وهو يقول : أنا آسف يا جماعة .. لقد شغلني الكلام عن إحضار العَشاء .

قال الأصدقاء : أنا أريد حماماً محشّواً .. أنا أريد كباباً من عنتر .. أما أنا فأريد fillet steak .

ذهب صلاح لإحضار العَشاء .

قال حسن : هيا يا رفعت احكِ ..



قال رفعت : بشرط ألا يقاطعني منكم أحد ؛ فأنا أعرف أنكم تنتظرون أن أحكي أية حكاية حتى تشككّوا فيها ، وتكثروا من مقاطعتي .

قال حسن مازحاً : كما تَدِين تُدَان .

قال رفعت : حدثت هذه الحكاية في منتصف التسعينات ، في المعادي ...

وهنا مال رفعت على حسن ، وقال وهو يبتسم : فأنا أدرِّس في المعادي أيضاً يا حسن .

قال أشرف : لا فائدة .. لا فائدة .. فرفعت إن لم يجد من يقاطعنه قاطع هو نفسه .

ضحك الأصدقاء طويلاً .



ثم قال حسن : أليس أنا الذي أتيت لك بهذا الدرس فعندما طلبت مني د. مريم مدرساً للرياضيات بالإنجليزي أتيت بك .

قال أسامة مازحاً : أنا مدرس إنجليزي ، لماذا لم تأخذني أنا؟

قال أشرف : يقول لك يدرس رياضيات بالإنجليزي يعني " math " وليس إنجليزي " English " ثم أنك كنت في ذلك الوقت قد سافرت للإمارات ، أتريد أن تعطي دروساً في مصر وأنت موجود في الإمارات ، ماذا هذا الطمع ؟

وضحك الأصدقاء ضحكاً متواصلاً .



ثم قال رفعت : كانت الطالبة الجديدة تسكن في دجلة ...

قال أسامة لأشرف مازحاً : ليس أنا وحدي الذي أريد أن أعطي دروساً في مصر وأنا أعمل في الإمارات ؛ فرفعت يعطي درساً في العراق وهو يعمل في مصر ...

ضحك الأصدقاء .





وقالوا : حرام عليكم .. سأموت من الضحك .. خير اللهم اجعله خيراً .. كمية الضحك التي نضحكها عندما نكون معاً أكثر مما نضحكها طوال العام ...

قال حسن : أكمل يا رفعت .

قال رفعت : كانت طالبة في الصف الثالث الإعدادي وكانت جميلة جداً وغبية جداً ...

قال حسن : هي غانية إذن .

قال أسامة لرفعت : أكانت منحرفة ؟ أنا أعرف أن غانية معناها فتاة سيئة السمعة أو بائعة هوى ...

قال أشرف مقاطعاً أسامة : عرفت الآن ماذا كانت الفتاتان تبيعان .. يا أسامة يا فاسق كانتا ...

وقبل أن يتفرَّعالموضوع ويُساء فهم الكلام قال حسن : أنا آسف على المقاطعة يا رفعت ،ولكن لابد أن أوضح شيئاً . كلمة غانية في اللغة تعني التي استغنت بحُسْنِها عن الزينة ، والجمع : غَوانٍ ، وليس معنى هذا أنها سيئة الخُلُق أو منحرفة السلوك ، الغانية ببساطة هي المكتفية بجمالها فقط ،

ولا ترغب في عمل شيء مفيد ، وهذا ينطبق على معظم الفتيات الحسناوات مثل الطالبة التي يتحدَّث عنها رفعت . لكن شَاعَ في الأدبيات الحديثة أن كلمة غانية تعني راقصة تعمل في الملاهي الليليَّة أو بائعة الهوى كما قال أسامة .

قال رفعت : كلام حسن صحيح ؛ هذه الطالبة كان مستواها التعليمي ضعيف جداً مع أنها ذكيَّة .

قال أسامة مازحاً : أنت قلت منذ قليل أنها غبية جداً ، والآن تقول هي ذكيَّة !

قال رفعت : نحن – المدرسين – نقول على الكسول الذي ليس له رغبة في التحصيل غبّياً ، وإن كان ذكّياً ، وأنت تعرف هذا يا أسامة ولكنك تريد المقاطعة..لمجرد المقاطعة..

قال أشرف : لا تؤاخذ أسامة يا رفعت فقد نسَيَنا ولم يَعُد يذكر إلا الإمارات ودراهم الإمارات .

قال حسن : أكمل يا رفعت ودعكَ من أسامة ، وأشرف .

قال رفعت : المهم هذه الطالبة كنت أشرح لها المسألة عشر مرات ، وعندما أسألها لا تجيب ، وبعد ذلك عرفت السر .



قال أسامة : سر ؟! .. سر ماذا ؟

قال رفعت : سر عدم مذاكرتها ، وعدم إعمال عقلها فقد قالت لي دينا أنهم قالوا لها : " إن التفكير يفسد جمال الفتاة " وأنا أريد أن أظلَّ هكذا جميلة .. لقد قال لي سائق التاكسي اليوم : أنت أجنبية ؟ وعندما أخبرته أني مصرية .. تعجب السائق وقال لي : هذا الجمال ليس جمالاً مصرّياً أبداً .

قلت لها ُمداعباً : إن السائق يقول لك ذلك طمعاً في المزيد من المال ؛ فأنت مثلك مثل سائر الفتيات المصريات .

فقالت مفاخرة : ولكني لست مثل الفتيات المصريات ؛ فأنا جدي ابن عم الملك فاروق .

قال أشرف : وهل صدَّقت كلامها ؟

قال رفعت : ولماذا أكذِّبها ؟ إن الأمر يبدو عادّياً لا غرابة فيه.

قال حسن : أتمنى أن يكون الاكتشاف الذي اكتشفته لا غرابة فيه بالنسبة لك يا رفعت .

***

هل تزوج حفيد عرابي حفيدة قائد الاحتلال الإنجليزي ؟

قال رفعت : وما هذا الاكتشاف يا حسن ؟

قال حسن : لقد اكتشفت أن حفيد عرابي قد تزوَّج حفيدة أحد قادة الاحتلال الإنجليزي !

قال الأصدقاء : معقول !! .. ما الحكاية ؟ .. وكيف اكتشفتها.

قال حسن : سبق أن قلت لكم إن صديقي علّياً الذي سافر إلى الكويت قد أعطاني عناوين وأرقام تليفونات من كان يدرس لهم ، كان من بين هؤلاء طالبة اسمها " لينا سلامة " كانت تدرس في أمريكا مع والدتها د. مريم التي كانت تعمل هناك ، المهم بدأت أدرِّس للينا أوليات اللغة العربية لأنه لم يسبق لها دراستها ، ولا تجيد التحدُّث بها ، وقسَّمت لها



الحصة إلى ثلاثة أقسام ، الأول : أُدرِّس لها بعض قواعد اللغة العربية ، والثاني : نقرأ فيه قصة مترجمة من قصص إيسوب الكاتب الإغريقي ، والقسم الثالث : محادثة حُرَّة . مثل: ماذا تتمنين أن تكوني في المستقبل ؟ ما أهم هوايتك ؟ وما الفرق بين الحياة في أمريكا ، والحياة في مصر ؟ وهكذا .

وفي يوم من الأيام كنَّا نتحدَّث عن الأسماء العربية ومعانيها.

قال أسامة : ما معنى أسامة ؟

قال حسن : أنت تعرف معناه ، ولقد سألتني فيه من قبل ، ولكنك تريد أن تذكّرنا به .

قال أشرف : وما معنى أسامة ؟

قال حسن وهو يضحك : أسامة أحد أسماء الأسد عند العرب مثل :لَيث ، وغَضَنْفَر .

قال أشرف ضاحكاً : أسامة إنجليزي أسد!! إنه أجْبَن خَلْق الله .

ضحك الأصدقاء .



وقال رفعت : وما معنى اسمي ؟

قال حسن : هو اسم تركي بمعنى علو الشأن مأخوذ من الرفعة ، فاللغة التركيَّة تحوِّل التاء المربوطة إلى مفتوحة ، فصفوة تصبح صفوت ، وشوكة تصبح شوكت ، وحشمة تصبح حشمت وهكذا.

قال أشرف : أكمل يا حسن ، قبل أن يسألوك عن معنى جميع أولادهم وأقاربهم ، وتلامذتهم .

قال حسن : وعندما أخبرت لينا أن اسمها غير عربي أنكرت ذلك وقالت : هو اسم عربي ومذكور في القرآن أيضاً ، قالت ذلك بثقة ويقين ، وسكتُّ ، وأخذت أبحث عن كلمة لينا في القرآن .. لينا .. لينا ، ثم قلت لها لا يوجد في القرآن اسم لينا هذا ، قالت بتحدٍّ موجود يا أستاذ أنا متأكدة ومعناه الشجرة الصغيرة .

وضحكت وقلت : تقصدين " لينة " التي جاء ذكرها في قوله تعالى ﴿ ما قَطَعْتُم مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ ﴾ [الحشر : ٥] .

قالت : نعم .



قلت لها ضاحكاً : أولاً : لينة المذكورة في القرآن الكريم بالتاء المربوطة ، ولسمك بالألف ، ثانياً : لم أقرأ أن أحداً من العرب قديماً سمَّى ابنته بهذا الاسم ، ثالثاً : وهو الأهم أن ثقافة والديك كما عرفتهما إنجليزية ، وليست عربية .

قالت : أمي فقط التي والدتها إنجليزية ، لكن والد أمي مصري ...

قال رفعت هازئاً : إذا كانت جدة لينا إنجليزية ، وتزوَّجت مصرياً فبالضرورة يكون جدها حفيد أحمد عرابي !! وقد تزوَّج حفيدة " ويلسلي " قائد الاحتلال الإنجليزي كما زعمت !!

قال حسن وهو يبتسم : تمهَّل يا رفعت حتى تعرف بقية القصة ودعك من فلسفتك الديكارتية الآن .

قال أسامة : ما معنى الفلسفة الديكارتية ؟ وما علاقة رفعت بها ؟

قال أشرف : أكمل يا حسن حكايتك ، ثم نعرف بعد ذلك الفلسفة الديكارتية .

قال حسن : ذات يوم قالت لي لينا : إن جدها لأمها كان أحد القادة الإنجليز الذين جاءوا لاستعمار مصر .

قلت لها : الذين جاءوا لاحتلال مصر .

قالت متعجبة : وما الفرق ؟

قلت : ألف والسين والتاء عندما تدخل على الفعل يكون معناه طلب القيام بهذا الفعل ، فاستطعم أي طلب الطعام ، واستسقى أي طلب الشرب ، واستعمر أي طلب التعمير والبناء والتنمية والإصلاح عموماً يقول الله تعالى ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود:٦١] أي طلب منكم تعميرها وإصلاحها ، أما الاحتلال فمعناه استيلاء دولة على بلاد دولة أخرى أو جزء منها قهراً .

قال أسامة : هذه أول مرة أعرف الفرق بين الكلمتين .

وقال أشرف : وأنا كذلك .

قال رفعت : المهم كيف تزوج حفيد عرابي حفيدة قائد الاحتلال الإنجليزي ؟!

قال حسن : وفي حصة أخرى قالت لي لينا : إن جدها لأبيها واسمه سلامة كان أحد القادة العرابيين الذي حاربوا الإنجليز .



فقلت لها بعدما اكتشفت المفارقة العجيبة : إن حفيدي العدوين اللدودين قد تزوَّجا أخيراً ، وأنت كنت ثمرة هذا الزواج العجيب .

وسعدت لينا جداً بهذه المفارقة العجيبة التي تسمعها لأول مرة ، وقلت لها مازحاً : وربما رأى أحد جديك الآخر في إحدى المعارك .

قال رفعت مازحاً : وربما قتل أحدهما الآخر في إحدى المعارك أيضاً .

قال حسن : ولِمَ لا .. ربما قتل أو أصاب أحدهما الآخر بالفعل .

تعجب أسامة ، وأشرف من هذه المفارقة العجيبة ، أما رفعت فاعتدل في جلسته ، وقال لهما : لا تتعجلا في الحكم على الحكاية فهذه الحكاية ما هي إلا إحدى أساطير إيسوب التي كان يدرِّسها حسن للينا .

ضحك حسن وقال : إنها قصة حقيقة ، وأنا لم أشك أبداً في كلام لينا ، وتأكدت منه بعد ذلك ؛ فقد استمررت في التدريس لها ولأخيها حسين أكثر من عشر سنوات متصلة .

قال رفعت : متى بدأ تدريسك للينا ؟ وكم كان عمر والدتها حينئذ ؟

قال حسن : كان هذا سنة ٩٢ ، وكانت والدتها د. مريم في نحو الأربعين من عمرها .

قال رفعت ، وقد أخذ يمثِّل دور القاضي الذي يسأل شاهداً : هل رأيت جدة لينا الإنجليزية .

قال أسامة وهو يضحك : كان عليك يا رفعت أن تقول لحسن في البداية : قل : أقسم بالله العظيم أن أقول الحق .

وأكمل أشرف : ثم تسأله عن اسمه ، وسنه ، وعنوانه .

وضحك الأصدقاء .



وأكمل رفعت وقد تقمَّص شخصية القاضي : أجب عن السؤال .

قال حسن : أي سؤال ؟



قال رفعت سأكرر لك السؤال مرة ثانية : هل رأيت جدة لينا الإنجليزية .

قال حسن وقد بدأ يتقمَّص دور الشاهد : نعم رأيتها ، أكثر من مرة هي وجد لينا .

– ما اسم جد لينا ، وما وظيفته ؟

– اسمه غالب وهو أستاذ في الجامعة .

– لن أسألك عن اسم جدة لينا ، ولكن أسالك عن عمرها.

– كانت في نحو السبعين من عمرها .

قال رفعت : إذا اعتبرنا أن جدة لينا من مواليد سنة عشرين أو اثنين وعشرين فإن أباها القائد الإنجليزي كان عمره أكثر من سبعين سنة عندما ولدت له ابنته التي يدَّعي المتهم .. أقصد الشاهد إنها جدة لينا ، وهذا مستحيل .

قال أسامة : وكيف استنتجت ذلك ؟!

قال رفعت : إذا كان عمر قائد الاحتلال الإنجليزي " ويلسلي " ثلاثين عاماً على أقل تقدير عندما جاء لاحتلال مصر سنة ١٨٨٢ ، وعلى فرض أنه تزوج من سيدة إنجليزية

عمرها على الأقل ٢٠ سنة في نفس العام فإن هذه السيدة قد أنجبت جدة لينا وهي في الستين من عمرها .

وضحك الأصدقاء .



قال أسامة لحسن : ما هو قولك فيما هو منسوب إليك ؟

وقبل أن يجيب حسن قال رفعت : ونفس الأمر ينطبق على زوجة أحمد عرابي .

قال حسن : ومن قال لسعادتك يا سيادة القاضي إن جدة لينا هي بنت قائد الاحتلال الإنجليزي ؟!

صاح رفعت مهللاً : ها هو الشاهد يعترف أن جدة لينا ليست ابنة القائد الإنجليزي ، ويغيِّر أقواله ، إذن الحكاية التي حكاها لنا غير حقيقية . رفعت الجلسة .

قال رفعت آخر جملة ثم نهض واقفاً ، وهمَّ بالانصراف .



ضحك الأصدقاء .



وقال حسن : انتظر يا سيادة القاضي .. أنا لم أنته من كلامي بعد !

قال أسامة : يا سيادة القاضي أعطِ الشاهد فرصة لتوضيح كلامه .

قال حسن : أولاً : أنا لم أقل إن جدة لينا حفيدة قائد الاحتلال الإنجليزي " ويلسلي " إنما قلت هي حفيدة أحد القادة الإنجليز ، وهو جد جدة لينا وليس أباها ، ونحن نقول على ابن الحفيد حفيداً كما نقول على أبي الجد جداً كذلك .

قال أشرف : هذا صحيح ، ونحن نقول على المصريين أحفاد الفراعنة معنى ذلك أن جدي هو مينا مُوَحِّد القطرين !!

قال حسن : تصحيح مهم جداً نحن لسنا أحفاد الفراعنة إنما أحفاد المصريين القدماء ، وفرعون اسم عَلَم على حاكم مصر أيام سيدنا موسى .

قال أشرف : كيف ذلك ؟ لقد درسنا في المدارس إن فرعون كان لقب كل حكام المصريين القدماء .

قال رفعت : هذا موضوع يطول شرحه ، ولو بدأ حسن الحديث فيه لما عدنا إلى بيوتنا قبل أسبوع من الآن ؛ فقد تناقشت معه في هذا الموضوع نحو عام كامل .

قال أشرف : وماذا كانت النتيجة ؟

قال رفعت : لقد اقتنعت تماماً بصحة ما يقول حسن . ولكن دعنا من هذا الآن ، واتركني أكمل التحقيق مع هذا المتهم .

قال حسن : حدد موقفك ، هل أنا شاهد ، وأنت قاض ؟ أم أنا متهم ، وأنت وكيل نيابة ؟

ضحك الأصدقاء .



وقال رفعت : لا تهرب من السؤال .



قال حسن : ما السؤال ؟

قال رفعت وهو يضحك : وهل أنا لم أسأله سؤالاً ؟

قال الأصدقاء وهم يضحكون : نعم .

قال رفعت : هناك خطأ كبير وقعت فيه دون أن تدري ، فقد قلت في بداية حكايتك أن حفيد عرابي تزوَّج حفيدة قائد إنجليزي . أليس كذلك ؟

قال حسن : بَلَى .

قال رفعت : أتغيِّر كلامك ، هناك شاهدان بالجلسة يشهدان عليك .

قال أسامة ، وأشرف : نعم يا حسن أنت قلت ذلك في بداية كلامك .

قال حسن وهو يضحك : وأنا لم أنفِ أني قلت ذلك .

قال رفعت مُتعَجِّباً: أنت قلت : بلى ، وبلى هذه معناها لا .

قال حسن : يا جَهلةَ ، معذرةً يا سيادة القاضي ، بَلّى : حرف يُجَاب به في الإثبات عن السؤال المنفي ، وأنت قلت أليس كذلك ؟ فسؤالك استفهام منفي .

قال رفعت : مفهوم .. مفهوم .

قال أسامة : أنا لا أفهم شيئاً .

قال رفعت : ليس مهماً .. ليس مهماً .

وضحك الأصدقاء .



وأكمل رفعت اتهامه لحسن : قلت إن جد جد لينا لأبيها اسمه سلامة ، وكنت قد قلت أن لينا حفيدة أحمد عرابي كيف هذا ؟

قال أسامة ، وأشرف : هذا صحيح ، لقد قلت إن سلامة هو أحد قادة عرابي ، كما قلت إن حفيد عرابي تزوج حفيدة قائد إنجليزي .. رفعت معه حق .

قال حسن : نعم قلت إن عرابيًّا قد تزوج إنجليزية ، وقلت هذا العرابي اسمه سلامة ، والأمر ليس فيه تناقض كما



تتوهمون ، معذرةً يا سيادة القاضي ، لقد كان أنصار أحمد عرابي يسمون عُرَابيون نسبة لعرابي كما تقول شافعيون نسبة للإمام الشافعي ، فعندما يقول رجل أنا شافعي فليس هذا معناه أن اسمه شافعي بل معناه أنه منتسب للشافعي ؛ فكلمة شافعي لها معنيان : اسم عَلَم ، واسم منسوب .

قال رفعت : أنا هذه المرة لم أفهم .

قال حسن : هناك درس في الصرف اسمه " النَّسب " وهو إضافة ياء مشدَّدة للاسم المنسوب إليه فمثلاً النَّسب إلى مصر : مصريّ ، والنسب إلى هند : هنديّ ، فإذا نسبت إلى الاسم المختوم بياء مشددة قبلها ثلاثة أحرف فأكثر حُذِفَت الياء المشددة وحلَّ محلها ياء النسب المشددة .

مثل : كُرْسيّ : كُرْسيّ ، شَافِعيّ : شَافِعيّ ، وعُرَابيّ : عُرَابيّ.

فسلامة هذا عُرَابيّ نسبة لعُرَابي .

ثم قال حسن وهو يضحك : لا أدري كيف حصلتم على شهادة الثانوية العامة ، ولا تعرفون النَّسب ؟!

قال أسامة : لم أفهم شيئاً .

قال رفعت : ليس مهماً ، المهم أن أفهم أنا ، وقد فهمت .

وضحك الأصدقاء .



قال رفعت : آخر سؤال .. زعمت أن حفيد عرابي قد تزوَّج حفيدة قائد إنجليزي ، وعرفنا أن أبا لينا حفيد سلامة العرابي نسباً لا اسماً ، ولكنْ أبو لينا لم يتزوَّج إنجليزية ، إنما تزوَّج د. مريم غالب وهي مصرية الأب ، والمولود يأخذ جنسية الأب فإذن د. مريم مصرية وليست إنجليزية ، وأن الذي تزوَّج إنجليزية هو غالب جد لينا وهو ليس حفيد عرابّي ، ولا علاقة له بعرابي ، ولا العرابيين .

وضحك الأصدقاء طويلاً .





قال حسن مازحاً : أنا عندي دليل قاطع على أن د. مريم غير مصرية .

***

هل تقبلين العوض ؟

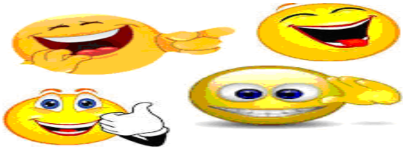
قال رفعت : ما هذا الدليل الذي يثبت أن د. مريم ابنة غالب المصري ليست مصرية ؟!

قال حسن وهو يبتسم : ذات يوم وبينما كنت أدرِّس للينا أو حسين ...

قال رفعت بلهجة القاضي : من حسين هذا ؟

قال حسن : حسين أخو لينا وابن د. مريم يا سيادة الفاضي .. أقصد القاضي .

وضحك الأصدقاء .



أكمل حسن : سألتني د. مريم : ما معنى " العوض " ؟



قلت : ما حكاية العوض هذه ؟

قالت : اليوم وعندما كنت في الجامعة جاءني السائق وقال : هناك مشكلة يا دكتورة . قلت ماذا حدث ؟ . قال طالبة : صدمت سيارتك بسيارتها وأتلفت مؤخرة السيارة تماماً .

ذهبت لأرى ماذا جرى ، وعندما رآني الشاب الذي كان يركب بجوار صاحبة السيارة قال بعد أن أشار لصاحبته أنه هو الذي سيتحدَّث نيابة عنها : سُها َلم تقصد صَدْم سيارة سيادتك، ومع ذلك فنحن على استعداد أن نصلح السيارة ، لكن المشكلة ، هل تقبلين العوض يا دكتورة ؟

فردَّ سائقي على الفور : نعم .. نقبل العوض يا حبيبي !!

قال الشاب : إصلاح السيارة ليس مشكلة ، إنما المشكلة كما قلت لسيادتك ، أن سُها َفعلت ذلك دون قصد ، والعوض حرام يا دكتورة ؟ أتقبلين العوض الحرام ؟

قال السائق : يا دكتورة هذه الآنسة كانت تمسك كوب العصير بيد ، وعجلة القيادة بيدها الأخرى ، وتتكلم وتضحك مع هذا الشاب دون مراعاة لأدنى قواعد القيادة .

قلت للشاب : هذه أول مرة أسمع فيها كلمة العوض هذه ، وعموماً سوف أسأل عن معناها ، وبعد ذلك أقرر ، هل أقبل العوض أم لا .. ثم أخذت اسم الطالبة ، ورقم سيارتها ، وتليفونها .

وها أنا أسألك عن معنى العوض .

قلت لها : العِوض ليس بحرام ولا بمكروه ، بل إن من حقك أن تطالبي من أتلف شيئاً من مالك بالتعويض سواء أوقع الإتلاف عَمْداً أم خَطَأً ؛ فالعمد والخطأ في إتلاف أموال الناس سواء كما هو مقرر عند أهل العلم إلا أن تسامحي وتعفي فذلك أقرب للتقوى، فالقاعدة الشرعية تقول : إن مَن أتلف شيئاً أو استهلكه فعليه إصلاحه أو رد مثله .

وأكمل حسن : فهل يوجد مصرية لا تعرف موضوع العِوض هذا ؟ أليس هذا دليل قاطع على أنها غير مصرية ؟!

وضحك الأصدقاء .





قال رفعت ، وهو ما يزال يلعب دور القاضـي : هذا ليس دليلاً على عدم مصريتها ، إنما هو دليل على طيبتها ، والطيبة أهم سمة من سمات المصريين الأُصَلاء ، وعليه حكمت المحكمة حضـورياً بـأن حفيـد أحمـد عرابــي لـم يتـزوَّج حفيـدة القائـد الإنجليزي .

رفعت الجلسة .

وضحك الأصدقاء .



قال حسن : سامحك الله يا رفعت ، أتنفي نَسَبٌ ثابت ؟ أنا لم أخطئ عندما قلت لا فرق بينك وبين أستاذك ديكارت .

***

هل كان ديكارت مدرس رياضة ؟

قال أسامة : وهل كان ديكارت مدرس رياضة ؟

قال رفعت : نعم .. كان أستاذاً في الرياضيات والجبر والبصريات ، وأنا أحب ديكارت وأعتبره أستاذي كما قال حسن، وكما أردد ذلك دائماً .

قال أسامة : وما منهج ديكارت هذا ؟

قال رفعت : عندما فكّر ديكارت في وضع منهج في الفلسفة أقامه على أساس أسلوب التفكير الرياضي الهندسي ، وهذا هو المعنى الحقيقي لقواعد المنهج الأربعة التي وضعها ديكارت في كتابه " مقال عن المنهج " وتنص القاعدة الأولى على " ألا أقبل شيئاً على أنه حق ما لم أعرف يقيناً أنه كذلك، بمعنى أن أتجنَّب بعناية التهوُّر، والسبق إلى الحكم قبل النظر، وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في



جلاء وتميز، بحيث لا يكون لديَّ أي مجال لوضعه موضع الشك.

قال حسن : أنت يا أسامة لا تعرف رفعت جيداً ، ولو عرفته لعلمت أنه يطبق هذا المذهب في كل شيء يسمعه أو يقرؤه ، ولقد رأيتَ ذلك بنفسك .

قال أسامة : أنا أعرف أن الذي يدرس الفلسفة يذهب عقله ويجن .

ضحك الأصدقاء .



وقال حسن وأشرف : أتتهم رفعت بالجنون .. أنت مجنون إذن يا رفعت .

قال رفعت وهو ما زال يضحك : الفلسفة كالبحر العاتي الأمواج ...

قال حسن : جميلة " عاتي الأمواج " هذه يا رفعت .

قال رفعت : من بعض ما عندكم يا حسن .. الفلسفة كالبحر عاتي الأمواج إذا لم يعرف رُبَّان السفينة كيف يتعامل معها ويسيطر عليها فإن سفينته تتحطم ويغرق ، أو يفقد عقله كما يقول أسامة . أما إذا عرف كيف يتعامل مع هذه الأمواج ويسخرها في دفع السفينة إلى الطريق الذي يريد أن يصل إليه...

قال أسامة : لا أفهم .

قال رفعت : ليس مهماً أن تفهم .. المهم أن باقي الأصدقاء فاهمون .

وضحك الأصدقاء .



وأكمل رفعت قائلاً : إذا كان دارس الفلسفة تفكيره محدود وقدراته العقلية ضعيفة فإن الفلسفة تحطِّم رأسه وتبلبل أفكاره ؛ يقرأ عن مذهبٍ فلسفيٍّ فيقتنع به ، ثم يقرأ نقداً لهذا المذهب



في فيغير رأيه ، ثم يقرأ مذهباً آخر فيقتنع ، وهكذا يصبح كريشة في مهب الريح تتقاذفه المذاهب يميناً وشمالاً حتى يضيع ويفقد عقله . أمَّا إذا كان ذكياً ولديه قدرات عقلية متميزة فإنه يستطيع أن يستوعب هذه المذاهب المختلفة ، والأفكار المتضاربة ، ويستفيد من هذه وتلك ويخرج بأفكار جديدة ويصبح فيلسوفاً أو صاحب فكر أو مذهب .

قال أسامة : مثل من مفكرينا العرب ؟

قال رفعت مثل : الكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، ابن رشد، والغزالي ، وابن طفيل .....

قال أسامة : من هؤلاء ؟!! قل لنا مُفَكِّراً نعرفه ؟

قال رفعت : سلامة موسى ، زكي نجيب محمود ، عبد الرحمن بدوي ، لويس عوض ، العقاد ، وتوفيق الحكيم .

قال حسن : ذكرت الغزَّالي من بين الفلاسفة مع أنه يعادي الفلاسفة وقد ذكر هذا في كتابه " تهافت الفلاسفة " .

قال رفعت : إن الغزالي من الفلاسفة الكبار وقد درس الفلسفة دراسة عميقة جداً وكتب كتاباً أسماه "مقاصد الفلاسفة"

ثم نقد الفلسفة والفلاسفة ولجأ إلى التصوف وموقفه هذا يُعَدُّ في حد ذاته فلسفة . فالغزالي يُعّد في كثير من نظرياته النفسّية والتربوية والاجتماعية صاحب فلسفة متمّيزة، وهو في بعض كتبه أقرب إلى تمثيل الفلسفة الإسلامية، وأنه فيلسوف بالرغم من عدم كونه يريد ذلك ، أي فيلسوف رغم أنفه .

وضحك الأصدقاء .



وأكمل رفعت : والخلاصة ، الفلسفة هي تناول فكري للقضايا التي تشغل المجتمع ، والتساؤلات التي يثيرها الناس .

قال حسن : لقد وقعت يا رفعت في خطأ كبير أثناء حديثك؟

قال رفعت : ما هو ؟

***



ياباني يصحّح للعرب خطأً لغوياً شائعاً

قال حسن وهو يبتسم : لقد قلت الغزَالي بفتح الزاي ، والنطق الصحيح الغزَّالي بتشديد الزاي .

قال رفعت : وممن سمعت هذا النطق ؟

قال حسن وهو ضحك : لقد سمعته من طالب ياباني .

وضحك الأصدقاء .



وقالوا مندهشين : طالب ياباني ؟!!

قال حسن : أي والله طالب ياباني اسمه ماكوتو .

قال رفعت : كيف هذا ؟

قال حسن : كنت أدرِّس لأبناء أستاذة في الجامعة الأمريكية، وفي يوم قالت لي : إن طالباً يابانّيا يدرس في الجامعة الأمريكية يريد أن يأخذ درساً في اللغة العربية ، وأعطتني رقم تليفونه ، واسمه ، واتصلت به ، وذهبت له .

قال رفعت : وبأي لغة كلمته ؟ هل تعرف اليابانية ؟

قال حسن : بل هو الذي يعرف العربية ، ويجيد الإنجليزية.

قال رفعت : وما علاقة هذا بالفلسفة ، وبالغزالي ؟

قال حسن : كان ماكوتو يدرس الفلسفة الإسلامية ، وخاصة أبا حامد الغزالي ، وأول مرة سمعت منه اسم الغزالي ، لم أعرف ماذا يقصد ؛ فقد كان ينطقه غزَّالي بتشديد الزاي مع تفخيمها ومدها أربع حركات ، وأخذ يعيدها أكثر من مرة ولم أفهم ، ثم قال الإمام: " بو هامد الغزَّالي " .

قلت له تقصد " أبو حامد الغزَالي " .

قال : نعم .

وعندما بحثت عن النطق الصحيح وجدته الغزَّالي بتشديد الزاي كما ينطقه ماكوتو ، نسبة إلى صناعة الغزل، حيث كان أبوه يعمل في تلك الصناعة .



العجيب أني قرأت كثيراً للغزالي ، وقرأت عنه كثيراً ، وسمعت اسمه كثيراً ، ولكن أول مرة أعرف النطق الصحيح كان من طالب ويا للعجب طالب ياباني !!

ضحك الأصدقاء من هذه المفارقة العجيبة .



وقال رفعت : هذه أول مرة أسمع هذا النطق ، وهل تعلَّم ماكوتو هذا في الجامعة الأمريكية ؟

قال حسن : لا .. لقد درس ماكوتو خمس سنوات في جامعة ماليزية .. درس الفلسفة الإسلامية .

قال أشرف : ما لكم قد حوَّلتم الجلسة إلى حصة فلسفة .

***

هل الفقراء يغيّرون أسماء الأطعمة ؟

أحضر صلاح العشاء ، بعد حوالي ساعتين ، واستبشر الأصدقاء خيراً بهذا التأخير ، فإعداد الحمام المحشّو ، وشوي الكباب ، وغيرها من المأكولات التي طلبها الأصدقاء يحتاج إلى وقت طويل .

بدأ صلاح يُخْرج الطعام قائلاً : من كان يريد كباباً ؟

قال أسامة : أنا .

قال صلاح : ها هو . وأعطاه كيساً .

عندما فتحه أسامة وجد فيه أرغفة محشّوة " طعمية وباذنجان".

وصاح أسامة : ما هذا ؟ .. طعمية ، وباذنجان مقلي ؟ هذا هو الكباب ؟!

قال صلاح وهو يمد يده بكيس لأشرف : هذا هو الحمام المحشّو الذي تريده يا أشرف .



خطف أسامة الكيس ، وفتحه بسرعة وفوجئ بأنه أرغفة محشّوة فول .

فقال صائحاً : هذا فول مدمس !!

قال صلاح مازحاً : أنا أعرف أنك قد مللت اللحوم، والدواجن والأسماك واشتقت لأيام زمان أيام الفول والطعمية التي كنا نأكلها هنا في هذا النادي أنسيت يا أسامة ؟!

وضحك الأصدقاء .



وقالوا : وما ذنبنا نحن ؟ .. إذا كان أسامة قد ملَّ من الطعام الدسم الشهي ، واشتاق للفول والطعمية والبطاطس والباذنجان .. فنحن لا نأكل غيرها .. حرام عليك .. لقد منَّينا أنفسنا بطعام شهي مثل المرتين السابقتين .

قال صلاح : أنا لم أخدعكم ألم نكن نقول على الطعمية كباب شعبي ، وعلى الفول حمام محشّو ، و..

قالوا : كان هذا أيام زمان .. أيام الفقر .. أما الآن فالحمام حمام ، والفول فول .. كما أننا لم نقل على الفول حماماً إنما كنا نقول على الفول الخرسانة المسلحة .

وضحك الأصدقاء .



قال صلاح : بصراحة هذا ما أستطيع شراءه .. فأنتم باسم الله ما شاء الله عندكم الأموال الطائلة .. فمنكم من يعمل في الإمارات منذ أكثر من عشرين سنة ، ومنكم من يعطي الدروس ليل نهار وصيفاً وشتاءً ، أما أنا فمدرس تاريخ، وأنتم تعرفون أن الطلاب لا يأخذون دروساً في التاريخ عكس العلوم والرياضة والإنجليزي ..

سكنت ثورة أسامة ، ومال إلى تصديق صلاح وهمَّ بالاعتذار له ، ولكن أشرف صاح مازحاً : كان هذا أيام زمان .. أما الآن فإن جدول دروسك يكتمل قبل اكتمال جداولنا .. حرام عليك يا صلاح صدمتنا .



كان الأصدقاء يقولون هذا وهم يلتهمون الطعام التهاماً ، ويتخطفون الطعام من بعضهم كالأطفال .

قال رفعت : سمعت أن جلسة الأسبوع الماضي كان جميلة والطعام كان شهياً .. يا خسارة لقد فاتتني هذا اللقاء .

قال حسن : خير يا رفعت .. لماذا لم تحضر الأسبوع الماضي ؟

قال رفعت : خير .. العقبى لأولادكم .. فقد خطبت ابنتي الأسبوع الماضي .. وإن شاء الله الأحد القادم يتم عقد الزواج في كنيسة مار جرجس ، وأنتم مدعوون جميعاً ولن أقبل عذراً من أحد منكم .

مال أسامة على أشرف وقال له هامساً في أذنه : هل .. ؟!

وهنا قهقه أشرف بصوت عال ووقف وقال : أسمعتم آخر نكتة ؟!

***

كلنا مصريون

حاول أسامة أن يمنع أشرف من الكلام ولكن أشرف قال وهو يغالب الضحك : أسامة يسألني : هل رفعت مسيحي ؟!

وضحك الجميع طويلاً .



قال أسامة وقد زال عنه الحرج : أنا لم ألحظ في كلام رفعت شيئا يختلف عن كلامنا ، كذلك لم أر رسم صليب في يده أو صليباً معلقاً في رقبته ، كما أني لم أعمل معه سوى عام فقط، ولم أر في اللقاءات السابقة ما يشير إلى أنه مسيحي .

قال حسن مازحاُ : أبعد سنوات الصداقة الطويلة التي جمعتنا أكتشف أنك مسيحي يا رفعت !!



وأغرق الأصدقاء في الضحك .



قال صلاح : هناك مقولة للورد كرومر يقول فيها " على مدار سنوات عملي في مصر لم أر فرقاً بين المسلمين والمسيحيين سوى أن المسلم يدخل المسجد ليصلي الجمعة ، والمسيحي يدخل الكنيسة يوم الأحد " .

قال حسن : أقول لكم شيئاً طريفاً كان لنا زميل مدرس عربي متشدد بعض الشيء ، وكان كلامه عن رفعت لا بد أن يسبقه بكلمة المسيحي صديق حسن ، وكنت في كل مرة يقول هذا أبتسم وأومئ برأسي بالموافقة ، فيقول مثلاً : رفعت المسيحي صديق حسن قد جاء متأخراً اليوم ..

قال رفعت : هؤلاء المتشددون موجودون في كل دين وملة

قال أسامة : لكن قل لي يا رفعت لماذا لا ترسم صليباً على يدك ؟

قال رفعت مازحاً : حتى أختبر ذكاءك .



وضحك الأصدقاء .



وأكمل رفعت : إن عادة رسم إشارة الصليب عادة مسيحية متّبعة منذ قرون المسيحية الأولى ، والهدف منها تذكير المسيحيين بمحبة الله وموت المسيح عنهم على الصليب .

إلا أن هذه الإشارة أصبحت فيما بعد عند بعض المسيحيين مجرد عادة متبعة وتقليد لا يعني لهم شيئاً. ولهذا عدل البعض عن استعمال هذه العادة .

كانت الساعة قد اقتربت من الثانية عشرة حين خرج الأصدقاء من نادي النيل وافترقوا على لقاء الأحد القادم في كنيسة ماري جرجس .

***




الفصل الرابع
في نادي ضباط القوات المسلحة



أفراح المدرسين

بعد أن شهد الأصدقاء مراسم عقد زواج سيمون ابنة رفعت توجَّه الجميع إلى نادي ضباط القوات المسلحة بالمعادي لحضور الفرح المقام للعروسين .

بعد أن جلس الأصدقاء بعض الوقت بين الحضور طلبوا من رفعت أن يبحث لهم عن مكان هادئ بعيداً عن أصوات الموسيقى والغناء العالية .

جلس الأصدقاء حول منضدة في مكان أكثر هدوءاً على شاطئ النيل .

قال حسن : أصوات الموسيقى العالية ، والشماريخ ، والمفرقعات ، أصبحت سمة كل الأفراح هذه الأيام .

قال صلاح : ليتها كانت قاصرة على الأفراح فقط إنما الآن DJ أصبح ُستخدَم في كل شيء : في افتتاح المحلات ، أعياد الميلاد ، التنجيد ، ... وفي أي احتفال .

قال أشرف : كل هذا لا يقاس بسائقي " التوك توك " وعربات الأجرة " service " الذين يضعون مُكَبِّرات الصوت هذه في مَرْكَباتهم ، ويرفعون الصوت إلى أعلى مستوى .

قال رفعت : وتحس أنك في موقعة حربية لا تسمع إلا أصوات القنابل وما تحدثه من اهتزازات .

قال حسن : قم يا رفعت واشهد فرح ابنتك وحيي ضيوفك .. ولا تشغل بالك بنا .

قال صلاح : قم يا رفعت .. لا يجب أن تترك الفرح وتجلس معنا .

قال أشرف : قم يا رفعت .. ولا تنسَ أننا ضيوفك اليوم .. ونريد أن نرى كرم الصعايدة ، قم وخذ معك أسامة فهو يحب الأفراح والموسيقى الصاخبة ، ولولا حَرَجِه من حسن وخوفه من لساني لَما تَرك الفرح وجلس معنا هنا .

قال أسامة : اتق الله يا أشرف .. فأنا ...

قام رفعت وهو يقول : لن أتأخَّر عليكم ؛ فأنا لا أطيق الأصوات العالية ، والموسيقى الصاخبة .



أكمل أسامة : أنا أحب الموسيقى والغناء نعم .. ولكن لا أحب هذه الأغاني الغريبة الزاعقة .

قال أشرف : منذ متى يا أسامة حدث هذا ؟ لقد كانت نغمة تليفونك مثل هذه الأغاني قبل أن تغيرها !!

قال أسامة : قلت لك مائة مرة : إن النغمة التي سمعتها في نقابة المعلمين ليست نغمة تليفوني إنما نغمة تليفون شخص كان بجوارنا .

قال أشرف : دعك من نغمة التليفون ، ألم يكن فرحك الذي شهدته بنفسي تُغَنَّى فيه مثل هذه الأغاني .

قال حسن وهو يضحك : وهل مازلت تذكر فرح أسامة ؟!

قال أسامة : أشرف لا ينسى أية إساءة تمسني حتى لو حدثت من مائة عام !

ضحك الأصدقاء .





وأكمل أسامة : كل الأفراح تغُنَّى فيها هذه الأغاني ، وربما كان فرح حسن كذلك ؟

قال أشرف : أنا لم أشهد سوى كتب كتاب حسن فقط ، وكان في مسجد بجوار بيت زوجته ، ولم أشهد فرحه .

قال حسن : أنا لم أُقِمْ فرحاً ، أحضرنا عدداً من الكراسي أمام بيت زوجتي جلس عليها المقرَّبون من العائلتين وبعد صلاة العشاء ركبنا السيارة وانتهى الفرح .

قال أسامة : أفرح هذا أم مَأْتَم ؟!

وضحك الأصدقاء .



قال حسن : مأتم في فْرح .

وضحك الأصدقاء .





قال حسن : أنا لا أمزح .. كل الأفراح مآتم في أفراح فكلمة الَمأتُم في اللغة معناها : الجماعة من الناس في حُزْن أَو فرح.

قال أسامة : ظنناك تمزح .. نحن الآن في مَأْتم إذن .

قال أشرف : فهمت الآن لماذا يقال للعريس يوم فرحه : البقاء الله .. وكلنا لها .. ويقال لمن لم يتزوج : العقبى لك عندما نمشي في فرحك .

وضحك الأصدقاء .



***

كيف أفتى من قال لا أعلم ؟

قال أشرف ُموجِهاً كلامه لأسامة : بصفتك مدرس إنجليزي ما معنى DJ .

قال أسامة : هذان الحرفان اختصار لكلمتين إنجليزيتين .

قال أشرف : ما هاتان الكلمتان ؟

قال أسامة : لا أعلم ..

قال أشرف ُمتهكّماً : كيف تكون مدرس لغة إنجليزية ولا تعرف هاتين الكلمتين ؟

قال حسن : من قال لا أعلم فقد أفتى .

قال أشرف متعجباً : كيف يكون قد أفتى وهو لم يفتِ .

قال حسن : من قال لا أعلم قد أفتى نعم .. أفتى بأن تسأل غيره ، لأنه إذا أجابك حتى خطأ فسوف تكتفي بفتواه ، ولن تسأل غيره .



إن العلماء الكبار لا يخجلون من أن يقولوا : الله أعلم ، ولقد سئل الإمام الشعبي سؤالاً لم يكن متيقّناً من إجابته فقال: لا أعلم ، سل غيري ، فقيل له : ألا تستحي أن تقول : لا أعلم . قال : وكيف أستحي مما لم تستح منه الملائكة ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]

قال صلاح : أنا تعلّمت ألا أتكلّم بغير علم من موقفين محرجين لن أنساهما أبداً .

قال أسامة : أحكِ لنا هذين الموقوفين ؛ حتى يعلم أشرف أني رجل أمين ولا أتكلّم بغير علم مثله .

***



سبب الحرب على البوسنة والهرسك

قال صلاح : كنت أدرِّس لطالبة في الصف الثالث الإعدادي ابنة صائغ كبير ، وكانت أم الطالبة بعد الدرس تسألني عن مستوى ابنتها كمعظم أولياء الأمور ، وذات مرة سألتني عن رأيي فيما يحدث في البوسنة والهرسك ، وكانت الحرب قد اندلعت عام ١٩٩٢ ، ووصلت إلى أشدها في ذلك الوقت ، ولم أكن قد كوَّنت رأياً في الموضوع الذي تحتل أحداثه صدر عناوين الأخبار في الصحف ونشرات الأخبار ولكن تحرَّجت أن أقول لا أعلم ، وأنا مدرس تاريخ ولا يصح أن أجهل هذه المواضيع ، وكنت قد سمعت رأياً في الحرب الدائرة في " كوسوفو " يقول إن الصراع ليس صراعاً دينّياً وتطهيراً عِرْقّياً كما هو شائع إنما هو صراع على الحدود وتوزيع الثروات أو شيء من هذا القبيل ؛ لأن أوروبا علمانية وليس فيها صراعات دينية أو عرقية مثل بلاد الشرق .



صدمتها إجابتي هذه وقالت غاضبة : كيف تقول هذا ؟! إنها حروب دينية .. هناك اضطهاد للمسلمين في هذه البلاد منذ أكثر منذ ١٥٠ سنة .. جدي كان يعيش هناك ، وذُبِح ابنه أمام عينيه فاضطر إلى الهجرة إلى مصر هو وجدتي في منتصف القرن التاسع عشر ، ومن قال إن أوربا علمانية ؟! إن كثيراً من الدول الأوربية مثل الكروات ، والصرب ، سلوفينيا ، وبلغاريا ، ... تضطهد المسلمين لأسباب دينية .

قال حسن : يذكرني هذا بموقف مُحْرج حدث لي أثناء الجامعة .

***

عمر بيكاسو

قال أسامة : ما هذا الموقف ؟

قال حسن : كنت رئيس فريق قسم اللغة العربية في المسابقة الثقافية التي تقيمها الكلية لجميع الأقسام : إنجليزي ، فرنسي، تاريخ، جغرافيا ، علم نفس ... وحصلت على شهادات تقدير ، ومكافآت مادية كثيرة .

وفي السنة النهائية أصبحت رئيساً لفريق الكلية ، وفي مباراة بين كلِّيَّتنا ، وكلية التجارة . سألنا الأستاذ : كم كان عمر بيكاسو عندما مات ؟

كنت أعرف بيكاسو الرسام الإسباني الشهير لكن لم أكن أعرف تاريخ ميلاده ولا وفاته ، فسألت زملائي في الفريق فكان حالهم مثل حالي ، فقلت لهم : أنا أعرف أن بعض



العباقرة ماتوا في سنٍّ صغيرة ، فإذا جاء السؤال عن عمره فيرجَّح أن يكون قد مات في سنٍّ صغيرة إذ لو مات في الستين أو السبعين من عمره لما كان هذا موضعاً لسؤال ثقافي اقتنع الزملاء بكلامي وفوضوني في إجابة السؤال فقلت للأستاذ : لقد مات بيكاسو عن عمر يبلغ ٢٣ أو ٢٥ سنة . قال الأستاذ : أنا أريد إجابة محددة ، ٢٣ ، أم ٢٥ وتأكدت أني على صواب وقلت في نفسي كلما كان السن أصغر كانت المعلومة أطرف . فقلت له في ثقة : ٢٣ سنة .

قال الأستاذ : الإجابة خطأ ...

قال أشرف : أكيد أن عمره كان ٢٥ سنة .

قال حسن وهو يضحك : لقد مات بيكاسو عن عمر يناهز ٩٢ سنة فقد ولد عام ١٨٨١م وتوفي عام ١٩٧٣م .

ضحك الأصدقاء طويلاً .



وقالوا : ٩٢ سنة .. لقد أخطأتَ في حوالي سبعين عاماً فقط!! .. بسيطة !!

وضحك الأصدقاء .



قال صلاح : العجيب أني لم أتُب عن الإفتاء بغير علم بعد رأيي في الحرب على البوسنة والهرسك .

***



فقد درساً ، وتعلّم درساً

قال أسامة : كيف حدث هذا ؟

قال صلاح : جرى حوار بيني وبين هذه السيدة ، زوجة الصائغ ، مرة أخرى حول مستقبل الشعوب والأمم ، وكنت قد سمعت أحد المثقفين يقول إن شعوب العالم قد استهلكها التَّرف والانحراف ، والمستقبل للشعوب الإفريقية التي ما زالت بِكْراً ، فقلت لها هذا الرأي ، وفوجئت بها تقول : ما هذا الكلام الشعوب الإفريقية!! الشعوب الأفريقية مُهَدَّدة بالموت جوعاً ومرضاً وحروباً : خارجية وداخلية .

قال أشرف : وماذا حدث بعد ذلك ؟

قال صلاح : خسرت الدرس ، ولكن تعلَّمت درساً آخر وهو ألا أفتي بغير علم ، وألا أبدي رأياً في موضوع لم أكون قد كونت فيه رأياً .

قال حسن : لقد كسبت يا صلاح ولم تخسر فالدرس الذي تعلمته أنفع من الدرس الذي فقدته .

قال أسامة لحسن : ألم تفتِ أحداً فتوى ندمت عليها ؟

قال حسن وهو يبتسم : أولاً لا بد أن أقرر أن كل ما أفتيتك به يا أسامة صحيح إن شاء الله .

وضحك الأصدقاء .



قال أشرف : فترك الصلاة ولو تكاسلاً حرام ، والأغاني التي يسمعها أسامة و...

قال حسن : أنا لم أقل إن الغناء حرام ، إنما أفتي برأي أبي حامد الغزَّالي ، ومعظم العلماء المحدثين أن " الغناء هو كلام، حلاله حلال ، وحرامه حرام " .

قال صلاح : اذكر له يا حسن رأي الشافعي في الغناء .



قال حسن وهو يضحك : رأي الإمام الشافعي : " إن الغناء لهو مكروه يُشْبِه الباطل ، ومن استكثر منه فهو سفيه ! تُرَدّ شهادته.

قال أسامة : قال مكروهاً ، ولم يقل حراماً .

قال أشرف : وقال من استكثر منه مثلك فهو سفيه . تُرَدّ شهادته.

قال أسامة لأشرف : ومن قال لك أني أكثر منه .. فأنا ليس عندي وقت لسماع أو مشاهدة أي شيء .

قال أشرف صائحاً : ها هو يعترف أنه ليس عنده وقت بسبب الدروس الكثيرة التي يعطيها .

وضحك الأصدقاء .



***

هذا ما وسوس لي الشيطان به

قال حسن : نعود لسؤال أسامة الأول حول خطئي في فتوى أفتيت بها .. حدث مرة أن سألتني طالبة ما حكم صوم من أَكَل أو شَرِب ناسياً في صوم التطوع ، وكنت قد سمعت رأياً من أحد الشيوخ يقول الصوم فاسد في هذه الحالة ، فقلت لها ما سمعته من الشيخ .

وعندما رجعت إلى البيت وراجعت كتب الفقه اكتشفت أن من أكل ناسياًأو شرب ناسياً فإن صومه صحيح سواءٌ أكان فرضاً أم تطوعاً ، وأن المالكية فقط هم الذين قالوا بفساد الصوم مخالفين نص الحديث الصحيح .

قال صلاح : وماذا فعلت قي هذه المشكلة ؟

قال حسن : المشكلة الأكبر أن الطالبة التي سألتني لم تكن من طالبات الفصول اللاتي أدرس لهن ، ولم تسألني على



انفراد إنما سألتني في حصة احتياطية أمام جميع طالبات الفصل ، ولم أكن متذكّراً هذا الفصل ولا هذه الطالبة .

قال أسامة : مادام أن هناك رأياً يقول بمثل ما قلت فلا حرج عليك .

قال حسن : هذا ما وسوس لي الشيطان به .

قال أشرف صائحاً : ها هو الشيخ حسن يقول على أسامة أنه شيطان ، وهذا ما أقوله لكم طوال عمري ولم تصدقوني .

وأغرق الأصدقاء في الضحك .



وأكمل حسن : وقررت أنا أصحح خطئي ، ودأبت كلما دخلت فصلاً أن أذكر الفتوى الصحيحة وأقول من يعرف هذه الطالبة يبلغها بالفتوى الصحيحة .

قال أسامة : لقد فضحت نفسك ؟

قال حسن : هذا أهون من الفضيحة يوم القيامة .

قال أشرف : تعلَّم .. تعلَّم يا أسامة فضيحة الدنيا التي أعملها لك أهون من فضيحة يوم القيامة .

وضحك الأصدقاء .



قال صلاح : احك لنا ماذا قلت للطالبة التي سألتك عن الخطيب الذي تقدَّم لخطبة أختها .

قال حسن : أية طالبة ؟

قال صلاح : الفتاة التي تقدَّم لخطبتها شاب متشدد ، ويرفض أن يأكل اللحم إلا إذا اشتراه ...

قال حسن : آه .. تذكَّرت .. تذكَّرت .

* * *



لا تتزوجي هذا الشاب

قال حسن : قالت لي طالبة ذات مرة : إن شابّاً تقدَّم لخطبة أختها بعد أن اختبر أخلاقها .

قلت لها : كيف اختبر أخلاقها ؟

قالت : أرسل أخو إحدى الطالبات اللاتي تدرِّس لهن أختي في أحد المساجد ، ببعض الأسئلة لأختي لتجيب عنها .

قلت : أية أسئلة ؟

قالت : أسئلة دينية مثل : اذكري أسماء خمسين صحابّياً ، وحكم الإسلام في الموسيقى والغناء ، وفوائد البنوك ، والنقاب ... أجابت أختي عن بعض هذه الأسئلة ، وفي المرة التالية أرسل صورته مع أخته ، ورفضت أختي أن ترى الصورة ، المهم أن هذا الشاب قد جاء ليخطب أختي ، وذكر في أثناء كلامه حرمة أن تنظر المرأة لرجل حتى في التليفزيون ، وأنه

لا يشتري اللحم إلا من بائع معين ولا يأكل أي لحوم من غيره، وأنه ... وأنه .

قلت لها : ما دراسة هذا الشاب ، وما عمله ؟

قالت : هو دبلوم صنايع ، ويعمل مع أبيه في إصلاح الغسالات .

قلت لها : ارفضوا هذا الشاب ، إنه متطرِّف دينّياً ، وسيدمر أختك إذا تزوجته ، إلا إذا كانت أختك مؤمنة بمثل أفكاره هذه.

قالت : لا .. أختي إنسانة عادية ، ولا تؤمن بهذه الأفكار .

قلت لها : إذن ارفضوا هذه الخطوبة .

وقال أسامة : أيوجد متطرفون بهذا الشكل ؟

قال أشرف لأسامة : نعم يوجد متطرفون دينياً ، كما يوجد متطرفون أخلاقياً .

قال أشرف الجملة الأخيرة وهو يشير إلى أسامة .

ضحك الأصدقاء .





قال حسن : القصة لم تنته فقد جاءتني هذه الطالبة بعد عدة أيام ، وقالت لي : لقد رفضنا هذا الخطيب ، وأختي تقول لك: ابحث لها عن خطيب آخر غير الخطيب الذي رفضناه بناء على رأيك .

أغرق الأصدقاء في موجات من ضحك .



وقال صلاح : وقعت في المصيدة يا حسن .. هذه الفتاة تطمع في الزواج منك .

قال حسن وهو مازال يضحك : عندما قالت لي الطالبة هذا الكلام ، قلت لها مازحاً : لقد غيَّرت رأيي ، اقبلوا هذه الخطوبة فلن تجد أختك أفضل من هذا الشاب .

وارتفعت موجة الضحك مرة ثانية .



* * *

لا تستهن بقدر غيرك

سكت الأصدقاء ، ولم يتذكر أحدهمموقفاً طريفاً يحكيه ، فقال أسامة : احك لنا يا حسن موقفاً طريفاً آخر .

قال حسن مازحاً : وهل أنا مهرج " Monolojst " أقلد الفنانين ، وألقي النكات على الجمهور ليضحك ؟!

قال أسامة : إن حكاياتك الضاحكة أفضل من نكات المهرجين .

قال أشرف مازحاً : حسن ليس مهرجاً إنما أنت الّمسْخَرَة .

قال حسن وقد أحس أن الكلمة التي وصف أشرف بها أسامة كلمة جارحة : لا تغضب يا أسامة فأنت تعرف أشرف، ومن أجلك سأحكي لك موقفاً مُحْرِجاً حدث معي ، وأنا طلب في الجامعة .



قال أسامة مازحاً : أنت رجل طيب يا حسن ، ولا يخرج من فمك العيب .. ليست مثل الآخرين .

وأشار إلى أشرف .

قال حسن : كنت أخطب في أحد مساجد المهندسين ، وكنت ما أزال طالباً في الكلية ، وبعد الخطبة توجَّه إليَّ رجل بسيط يلبس جلباباً أبيض ، وقال لي بكلِّ حب : خطبتك جميلة ، وأفكارها مُنَسَّقة ، ثم قال وهو يبتسم : ولكنك وقعت في سبعة أخطاء لغوية .

فقلت له وقد أخذتني العزة بالباطل ؛ فأنا الإمام وهو مجرد مصلٍّ عابر ليس من رُوَّاد المسجد : كيف تقول ذلك ؟ وأنا طالب في كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة القاهرة وسوف أتخرج من الكلية هذا العام إن شاء الله .

قال مُتعجباً : ولماذا تريد ترك كليتك قبل الحصول على شهادتها ؟!

قلت غاضباً : ومن قال إني سأترك الكلية قبل الحصول على الشهادة ؟!

قال وهو ما يزال يبتسم : أنت .

قلت : أنا لم أقل هذا ؟

قال : قلت سأتخرَّج من الكلية هذا العام .

قلت : نعم قلت ذلك .

قال : إذن تريد أن تترك كليتك قبل الحصول على شهادتها، أما إذا أردت الحصول على شهادة كليتك فكان عليك أن تقول سأتخرَّج في ، وليس سأتخرَّج من .لأن تخرّج معناه: تعلّم وتدّرب .

قلت له : من أنت ؟

قال وهو يبتسم : أنا أستاذ علم لغة في كلية دار العلوم .

وضحك الأصدقاء .



جاء رفعت وقال للأصدقاء : هيّا .. هيّا ؛ فقد حان وقت الطعام .

قال أسامة : أحضر لنا الطعام .. ولن أوصيك .



قال رفعت : " Buffet " مفتوح كُل ما تشاء ، واشرب ما تشاء.

قال أسامة : إن المشكلة أنه " Buffet " مفتوح فأنا لي تجربة قاسية ففي فرح كان في فندق " ماريوت " ...

قال أشرف : لا تضيِّع الوقت يا أسامة وقم بسرعة حتى ندرك " البوفيه " .

قال رفعت : اطمئنوا .. اطمئنوا ؛ فالأكل كثير والحمد لله .

وبينما يسير الأصدقاء نحو مائدة الطعام مال أسامة على حسن وقال له هامساً : هل يجوز أكل طعام المسيحيين ؟

ابتسم حسن وقال : لم أكن أعرف أن معلوماتك الدينية ضعيفة إلى هذا الحد ألم تقرأ قوله الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [المائدة:٥] .

ثم إن جميع مستلزمات الأفراح من مأكولات ومشروبات وحلوى تُشْتَرَى من المحال جاهزة ولا تصنع في البيوت .

قال أسامة : بالله عليك .. لا تفضحني ولا تقل هذا الموضوع لأشرف .

وضـحك حسـن وسـمعه أشـرف وقـال لـه : عـلام تضـحك يا حسن ؟

قال حسـن : لا شـيء .. لا شـيء فقط أسـامة سـألني سـؤالاً في الدين .

قال أشرف : ما السؤال ؟ وما الذي جعلك تضحك ؟

نظر أسامة نظرة استعطاف لحسن الذي قال لأشرف : إنـه سؤال خاص ، لا يعنيك .

قال أشرف : أنا أعرف السؤال .

واضـطرب أسامة وظـنَّ أن أشـرف قد سمع السـؤال أو سـمع الإجابـة وخمَّن السؤال فقال : أشرف .. أشـرف كفـى مزاحاً .. نحن في فرح ، والناس كلها تسمعنا .

بعـد أن تنـاول الأصـدقاء الطعـام والشـراب عـادوا إلـى حيـث كانوا يجلسون وعاد معهم رفعت .

قال رفعت لأسامة : طعام اليوم أم طعام فندق " ماريوت " ؟

قال أسامة : لا تذكرني بهذا اليوم .

***



ماذا حدث في فندق " ماريوت " ؟

قال أشرف : ماذا حدث لك في فندق " ماريوت " ؟

قال أسامة : كان لي صديق ، لا تعرفونه ، قد تزوَّج أخت مغنٍ مشهور ، وأقام لها أخوها الفرح في فندق " ماريوت " وجعل الدعوة مفتوحة لأهله وأصدقائه في مصر القديمة ، وجاءت أمة لا إله إلا الله ، واكتظت قاعة الفرح بالمدعوين ، وقبل افتتاح الـ " بوفيه " استعرضت كاميرات التصوير موائد الطعام كان فاخراً جداً وزاخراً جداً ، ومنَّيت نفسي أنا وزوجتي بوجبة تكفينا ليوم أو يومين .

قال أشرف : طول عمرك ، وأنت شره ، ولا يملأ عينك شيء.

قال أسامة : بسبب حسدك هذا لم آكل شيئاً في هذا اليوم ..

ضحك الأصدقاء .



وأكمل أسامة : بمجرد أن تناول العروسان طعامهما ودعوا الناس إلى لتناول الطعام حتى هجمت جيوش التتار كالجراد المنتشر ، وعندما وصلت لم أجد شيئاً يؤكل وظللنا طول الليل تكاد أصوات عصافير بطوننا تغطي على أصوات الموسيقى العالية والغناء الزاعق .

وبعد خروجنا من الفرح في الصباح ركبت سيارتي وبحثت عن أقرب مطعم مفتوح لأسكت عصافير بطني أنا وزوجتي .

أوشك الفرح على الانتهاء وبدأ بعض المدعوين في الانصراف .

قال حسن : هيا بنا يا جماعة ؛ حتى نترك رفعت يودِّع ضيوفه ، على أن نلتقي الأسبوع القادم إن شاء الله .



قال أشرف : متى ؟ وأين نلتقي ؟

قال حسن : اختاروا أي مكان ترغبون فيه ، وأنا أدعوكم إليه.

***


الفصل الخامس
في القرية الفرعونية

الرحلة النيلية

بعد فرح ابنة رفعت بعدة أيام جرت اتصالات بين الأصدقاء حول المكان الذي يلتقون فيه ، وأخيراً استقرُّوا على اللقاء في القرية الفرعونية في التاسعة من صباح الاثنين .

كان حسن أول الحاضرين ، وتوالي حضور الأصدقاء حتى اكتمل جمعهم بمجيء أشرف في التاسعة والنصف ، دفع حسن ثمن تذاكر الدخول شاملة جميع دخول جميع المتاحف والرحلات النيلية ، والحدائق ، ووجبتي الإفطار والغداء .

ركب الأصدقاء مركباً مسقوفاً بلا جدران حتى يحموا من أشعة الشمس وفي نفس الوقت يتاح لهم رؤية نماذج من آثار مصر القديمة مع شرح مبسَّط لتاريخ مصر القديم وترجمة لأهم الشخصيات .



شاهد الأصدقاء بعض التماثيل لأهم الشخصيات المصرية القديمة ومنهم أوزيريس، أيزيس، حورس، آمون، تحتمس الثالث، أخناتون، رمسيس الثاني ، وشاهدوا كيف كان المصريون القدماء يزرعون ويحصدون ، ويصنعون الورق من نبات البردي ، وكيف يبنون ويشيدون ، وكيف يعجنون ويخبزون ، ومشهد تمثيلي لامرأة فرعون عندما رأت موسى وهو موضوع في سلة وقد دفعه النهر لقصر فرعون .

وبعد الرحلة النيلية شاهدوا نموذجاً لمعبد الكرنك وراءوا نماذج لبيت أحد أغنياء مصر القديمة ، وأحد الفلاحين .

وبعد الرحلة النيلية الممتعة كانت هناك فترة استراحة لتناول وجبة الإفطار المكونة من فطير " مشلتت " مع الجبن القديم والعسل.

قال أسامة مازحاً : الفسحة جميلة ، لكن الطعام مجرد فطير فقط ، أين ما لذَّ وطاب من صنوف الأكل ؟

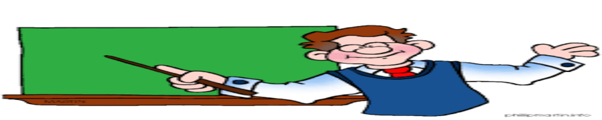
قال حسن : لا تعجل على رزقك ، هذا فقط الإفطار ، وعند الغداء ستجد ما يسرك إن شاء الله .

قال أشرف : أنت دائماً همَّك على بطنك ، كأنك محروم من الطعام الفاخر ، وأنت ...

نظر حسن لأشرف فتوقف عن مواصلة كلامه المعتاد .

كانت نتيجة الثانوية العامة قد ظهرت بالأمس وكان ابن صلاح في الثانوية العامة .

***



نتيجة الثانوية العامة

قال رفعت : ماذا فعل ابنك يا صلاح ؟

قال صلاح : الحمد لله ، ٩١% .

قال رفعت : المهم كم حصل في مادة الرياضة .

قال صلاح : لا أتذكر بالضبط .

قال رفعت مازحاً : المهم أن تكون درجة الرياضة التي كنت أدرسها أفضل من درجة اللغة العربية التي كان يدرسها حسن؟

قال صلاح : ولماذا نسيت درجة الفيزياء التي كان يدرسها أشرف ؟

قال رفعت وهو يبتسم : أنا يهمني درجة حسن ؛ فقد كان يتحداني أنه سيجعل ابن صلاح يحصل أعلى درجة في اللغة العربية .

قـال أسـامة : درجـات مـاذا التـي تتحـدثون عنهـا ! كـل الامتحانـات قد تسرَّبت ، وكانـت فـي يد الطـلاب قبل دخـولهم الامتحان ، وهل هذه امتحانات ؟ وهل هذه درجات حقيقية ؟

لقد أساء موضـوع تسريبات الامتحان هذا إلينا أبلـغ إساءة ، أبعد أن كنَّا رواد العلم والتعليم في الوطن العربـي يصبح حالنا هكذا !!

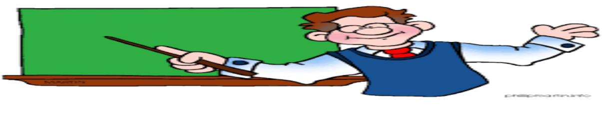
قـال صـلاح : لقـد كـان ابنـي يلـحُّ علـيَّ أن يـدخل علـى Internet ويعرف الامتحان ، وكنت أنهاه بشدة .

قـال أسـامة : ولمـاذا تنهـاه ؟ كـل الطـلاب يطـَّلعـون علـى الامتحان قبل دخول اللجان !!

قال حسن : لأن هذا يـُعَدُّ غِشّاً ، ومشـاركة فـي إفساد التعليم، وإذا اعتـاد الطـالب الغش فـلا خيـر يرجا منـه وأول من يكتـوي بغشه هو أهله الذين لم يعلموه الاعتماد على نفسه .

قـال أسـامة : أنـت مثـالي " over .. over " يـا حسـن . المساواة في الظلم عدل .

***



لماذا تمنعنا من الغش يا أستاذ ؟!

قال صلاح : هل المساواة في الظلم عدل كما يُقَال يا حسن؟

قال حسن : كيف يكون التساوي في الظلم عدلاً ؟ وكيف يصح أن يكون الظلم مصدرًا للعدل والعدل مصدرًا للظلم ؟

قال أسامة : ألم يسبق لك أن غشَّشت أحداً في امتحان ؟

ضحك حسن وقال : إنك تذكّرني يا أسامة بأول مرة ألاحظ فيها كان ذلك في مدرسة الزهراء الإعدادية قبل الانتقال إلى مدرسة الروضة حيث فوجئت بطالبة في الصف الثاني الإعدادي تقف وتقول لي بكل حسم : لماذا تمنعنا من الغش يا أستاذ ؟! ماذا تستفيد من ذلك ؟!

قلت لها متظاهراً بالاقتناع بكلامها : حقيقة ماذا سأخسر لو نجحتن جميعاً ؟! وماذا سأكسب لو رسبت بعض الطالبات ؟!

واستبشرت الطالبة بكلامي خيراً ، وأحست أنها نجحت في إقناعي ، وأني سأسمح لهن بالغش ، وقلت لها بنفس نبرة



التظاهر بالاقتناع ، ولكن أريد أن أسألك ، لماذا يُدْخل الله بعض الناس النار ؟ لماذا لا يدخل الله كل الناس الجنة ؟

ولم تستطع الإجابة ، فأكملت بلهجة خطابية وعظية قائلاً : الله تعالى يدخل الصالحين الجنة ، ويعذّب الكافرين والعصاة لأنه إله عادل .. فكيف يدخل فرعون الجنة مع موسى ، وأبو جهل يدخل الجنة مع النبي محمد ﷺ ؟!!...

قال أشرف : هذا الكلام موجه لك يا أسامة .. أتفهم ؟!

قال أسامة لأشرف : وأنت الملاك الطاهر ؟! أنت كنت تغشش مثلنا ؟

قال أشرف : أنا لا أنكر أني سمحت بالغش أحياناً رحمة ببعض أولياء الأمور ، ودون مصلحة تعود عليَّ ...

قال صلاح مازحاً : إن كنتم تشفقون على الطلاب وأولياء أمورهم حقاً لأخلصتم في تعليمهم ، لا في تغشيشهم .

قال حسن : هناك نقطة مهمة يجب التنبيه إليها ، فرق كبير بين أن تفعل الحرام وأنت مؤمن بحرمته ، وبين أن تفعله وأنت مستحلٌّ له ، فالأول معصية ، والثاني كفر .



قال أسامة : لم أفهم شيئاً .

قال صلاح : إن من يغشش مثلاً وهو مؤمن بحرمة الغش ، غير من يغشش وهو يقول إن الغش ليس حراماً مُنْكِراً نصوص الدين التي تُحرِّمه .

قال أسامة مازحاً : قم بنا يا أشرف نكمل الرحلة ، قبل أن يكفرونا .

ضحك الأصدقاء .



قال أشرف : لقد أخللت بنظام الامتحان بالخطبة التي قلتها للطالبة يا حسن ؛ فالامتحان ليس حصة دين .

قال رفعت : كان هذا في أول تعينه ، أما بعد ذلك فإن حسن كان يفعل غير هذا .

***

شركم من باع دينه بدنياه

قال أسامة : قل لنا ماذا كان يفعل .. فأنا لا أتذكر ؟

قال رفعت : عندما يدخل حسن لجنة الامتحان يقول أنتم جميعاً تعلمون أن الغشَّ: حرام شرعاً ، ممنوع قانوناً ، عيب خلقاً ، تخلُّف حضارةً .

ثم يسأل الطلاب بعد ذلك من منكم يريد أن يغش ، ويسكت الطلاب ، ويقول بعضهم : الغش حرام يا أستاذ .. من غشنا فليس منا يا أستاذ ؟ فيقول حسن : إذن اتفقنا .

ثم يقول لهم شرُّكم من باع دينه واشترى ...

قال حسن : شركم من باع دينه بدنياه ، وشر منه من باع دينه بدنيا غيره .



قال أسامة : لا أفهم .

قال حسن : أي أن الذي يسرق مثلاً قد باع دينه من أجل متاع الدنيا ، أما الأسوأ منه فهو من يشهد شهادة زور مثلاً لإرضاء شخص فقد باع دينه من أجل مصلحة غيره .

قال أسامة : وما علاقة ذلك بالغش في الامتحان ؟

قال حسن : من يغش فقد باع دينه بدنياه أي خسر دينه من أجل الاستفادة بالنجاح ، أما الذي يغشش فهو شر منه لأنه باع دينه من أجل مصلحة شخص آخر .

قال أسامة : إذن الذي يغشش هذا إنسان غبيٌّ حقاً .

قال أشرف : ها قد اعترفت على نفسك يا أسامة .

قال صلاح : أهذا حديث شريف يا حسن ؟

قال حسن : لا .. لا يوجد حديث بهذا اللفظ ، فيما أعلم ، إنما هناك حديث رواه ابن ماجه يقول : " إنَّ من شَرِّ الناسِ مَنْزِلَةً عندَ اللهِ يومَ القيامةِ ، عَبْدًا أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بدُنْيا غيرِه " .

ولقد صاغ شاعر هذا المعنى فقال :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى

وللمشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه

بدنيا سواه فهو من هذين أخيب

قال أسامة متعجباً : كيف تعرف كل هذه المعلومات ؟ أنت Cyclopedia يا حسن .

قال صلاح مازحاً : قال واحد صعيدي لرجل متعجباً من غزارة معلوماته : " أنت جاموس ! " يقصد " قاموس " كعادة الصعايدة في نطق القاف جيماً ، فردَّ عليه الرجل المثقَّف : وأنت من العجول التي تفهم " يقصد بالطبع العقول .

وضحك الأصدقاء .



قال أسامة لرفعت : وكيف عرفت ما يفعله حسن في الامتحانات ؟



قال رفعت وهو يضحك : أنسيت أني زاملت حسن نحو ربع قرن ، ولاحظت معه في الامتحانات مئات المرات ؟!

قال حسن وهو يضحك : رفعت عندما يدخل اللجنة ويجدني فيها يجلس على كرسيه ولا يقوم أبداً ، ولا يكاد يفعل شيئاً ...

قال رفعت مازحاً : ألا يكفي ما تفعله أنت في اللجنة ، أتريدني أن أشاركك في خنق الطلاب ؛ إن الطلاب عندما يرون حسن ذاهباً للجنته يسرعون إليه ويسألونه عن لجنته وعندما يخبرهم تتعالى صيحات فرح من لم يلاحظ عليهم بينما، يغتم الباقون ويرددون : ربنا يستر .. يا رب يكون الامتحان سهلاً .. يا ليتني ما رأيت فلاناً هذا الصباح ..

وضحك الأصدقاء .



قال أسامة : إلى هذا الحد ؟!

قال حسن : إن رفعت قال لكم نصف الحقيقة ، فقد تحدَّث عـن الطــلاب الفاشـلين فقـط ، ولـم يـذكر موقـف الطــلاب المجتهدين .

قال أسامة : وما موقف الطلاب المجتهدين عندما يعلمون أنك ستلاحظ عليهم ؟

قال حسن : يفرحون جداً ؛ لأني أهيئ لهم الهدوء في اللجنة فيتمكنـون مـن الإجابـة عـن كـل الامتحـان بـلا مضـايقات مـن الطلاب الذين يرغبون في الغش .

قال أشرف : كفى حديثاً عن المدرسة والدراسة والامتحانات .. نحن في إجازة ، ونريد أن ننسى هذا الهمَّ .

قام الأصدقاء ليكملوا باقي الرحلة .

***



إعادة التصحيح

شاهد الأصدقاء نموذجاً طبق الأصل لمقبرة توت عنخ آمون.

قال أشرف : عندما يموت أسامة ستكون له مقبرة مثل مقبرة توت عنخ آمون هذه .

وضحك الأصدقاء .



ثم رأوا بعد ذلك متاحف : المراكب ، والتحنيط ، وجمال عبد الناصر .

كان هناك سجل ليكتب من شاء من الزائرين فيه كلمة عن الرئيس جمال عبد الناصر .

فكتب صلاح كلمة ولاحظ أسامة ذلك فذهب بعد أن انصرف أسامة وصوَّرها بتليفونه .

جلس الأصدقاء في إحدى الحدائق للاستراحة .

قال أسامة : سأقرأ لكم ما كتبه صلاح ، وهناك جائزة لمن يفهم شيئاً .

قال صلاح وهو يضحك : وهل يسمح لي بالاشتراك في هذه المسابقة ؟

قال أسامة : لا .. غير مسموح لك بالاشتراك ، لكن أنت الذي ستكون الحَكَم .

فتح أسامة تليفونه وبدأ يقرأ : يجب قراءة جميع مذكرات الضباط الأحرار لمعرفة الحقيقية ؛ فالريح عذاب ، والرياح رحمة لذا يجب فتح النوافذ جميعاً .

قال حسن : قبل أن أجيب أريد أن أعرف قيمة الجائزة أولاً ..

وهنا سُمِعَت نغمة " إلا صلاتي لمشاري راشد " فقطع حسن كلامه وبدأ يردُّ على المُتصل ، وتوقَّف الأصدقاء عن الكلام .

قال حسن بعد أن ردَّ على تليفون : هل تعرفون ، موضوع إعادة التصحيح ؟



قال أشرف : لماذا ؟

قال حسن : جاري ، وهو الذي كان يكلمني الآن ، قال لي إن ابنه متفوق ، وفوجئ أن درجاته في مادتي : الفيزياء ، والألماني أقل كثيراً مما توقَّع ، ويؤكد أن إجاباته فيهما أعلى من الدرجة التي حصل عليها فيهما ، ويريد إعادة تصحيح هاتين المادتين .

قال أسامة : ألا يكفي تسريب الامتحانات ، والغش في اللجان، هناك لأخطاء في التصحيح أيضاً !!

قال أشرف : ليس كل ما يدَّعيه الطلاب صحيحاً ، فكثيراً ما يلقي الطلاب بنتيجة تقصيره على مصححي المواد .

قال رفعت : لا تتعب نفسك في موضوع إعادة التصحيح هذا ؛ فإجراءاته طويلة جداً ونتيجته صفر .

قال حسن : ابنة إحدى زميلاتي منذ عامين قد أعادت تصحيح مادة وحصلت تقريباً على خمس درجات زيادة .

قال رفعت : أنا أقول لك عن تجربة شخصية أنت تعرف أن ابني مينا كان في الثانوية العامة العام الماضي ، وأعدنا له تصحيح مادة الرياضة ، وقمنا بإجراءات معقدة دون فائدة .

قال حسن : ما تلك الإجراءات حتى أخبر بها جاري .

قال رفعت : يجب أن يقوم الطالب بدفع رسوم ١٠٠ جنيه عن كل مادة يريد تقديم تظلم فيها في أحد فروع البنك الأهلي في حساب صندوق دعم وتمويل المشروعات التعليمية ويجب الحصول على إيصال سداد من البنك ، ثم يتقدم الطالب وولي الأمر بطلب التظلم في المديرية التعليمية التابع لها ويرفق مع الطلب إيصال السداد وشهادة الدرجات وصورة البطاقة. في المديرية التعليمية يتم إبلاغ الطالب بميعاد ومكان الاطلاع على ورقة الإجابة الخاصة بالمادةالمتظلم منها وذلك من خلال مندوب Control الثانوية العامة .

قال أسامة : وبعد هذا كله هل يتمكن الطالب من رؤية ورقة إجابته ، وبيان الظلم الواقع عليه .

قال رفعت : لا يسمح للطالب باستخدام التليفون المحمول أثناء الاطلاع على صورة ورقة إجابته، ولا يسمح له باصطحاب مدرس المادة أثناء الاطلاع ، فقط يسمح له بمراجعة "صورة" ورقة الإجابة الخاصة به جيدًا وليس أصل الورقة ، ويدوّن الطالب ملاحظاته الخاصة التي يراها في



تصحيح أي جزئية موجودة بورقة إجاباته، وذلك في ورقة الملاحظات التي يتم إعطاؤها له أثناء الاطلاع .

ثم يقوم Control بعد ذلك بتسليم ورقة الملاحظات مع ورقة إجابة الطالب إلى مستشار المادة ، الذي يقوم بالتأكُّد من صحَّة ملاحظات الطالب ؛ ليتم مراجعة تصحيح الجزئيات التي كتب بشأنها الطالب ملاحظاته ، ويجب توقيع الطالب بنفسه على غلاف صورة كراسة الإجابة بعد الاطلاع .

إذا ثبت حق الطالب في الحصول على درجات زيادة : يتم إخطار الطالب على عنوانه بموجب خطاب مُسجَّل بعلم الوصول بهذا التعديل ، وإخطار مكتب التنسيق بالنتيجة المعدَّلة للطالب .

وفي الغالب لا يحصل الطالب على أية درجات زيادة إلا إذا كان هناك خطأ في جمع ورصد الدرجات ، أما عملية التصحيح نفسها فهي عملية تقديرية نسبية كما تعلمون جميعاً .

ولا يخفى عليكم ما يجري في التصحيح نفسه .

***

نوادر التصحيح

قال حسن : أذكر في إحدى السنوات أن سطراً في سؤال القصة في الصف الثالث الإعدادي قد سقط من ورقة الأسئلة، وكان هذا السطر يشتمل على الإجابة عن أحد سؤالي القصة. وفوجئنا ونحن في التصحيح ، وكان التصحيح في مدرسة المنيل الإعدادية بنات المجاورة للإدارة التعليمية ، أن نموذج الإجابة يقول يُ صَحَّح سؤالا القصة ويجمعا معاً ثم تقسم الدرجة على اثنين ، واعترضنا لأن أغلب الطلاب يجيبون عن سؤال واحد فقط لأن سؤال القصة والقراءة اختياريان كما هو معروف من عشرات السنين ، وسؤال القصة في هذا العام لم ينص على وجوب إجابة السؤالين معاً ، وجاء الأستاذ عبد العظيم الموجه الأول ثائراً عندما سمع باعتراض المدرسين على نموذج الإجابة ، وقال والشرر يتطاير من عينيه : ابدءوا التصحيح كما جاء في نموذج الإجابة .



قلت له : وماذا لو أجاب الطالب عن سؤال واحد فقط .

قال : يصحح السؤال وتقسم درجته على اثنين !!

وجنَّ جنوني .

قال أسامة : لم أرك يا حسن يوماً غاضباً .

قال رفعت : اتق شرَّ الحليم إذا غضب .

وأكمل حسن : بدأ بعض المدرسين في التصحيح ، أما أنا فقفزت من مقعدي وهرولت إلى عبد العظيم في ثورة عارمة ، ولا أدري ماذا قلت له ؛ لأني كنت في حالة لا أدري فيها ماذا أقول أو أفعل ، كل ما أتذكره أني هددته بإبلاغ الصحافة ، والإعلام ، ولن أسكت عن هذا الأمر حتى ولو دخلت السجن.

قال صلاح : الظلم ظلمات ، والساكت عن الحق شيطان أخرس .

قال حسن : هذا ليس ظلماً لطالب أو اثنين إنما ظلم لمئات الطلاب .

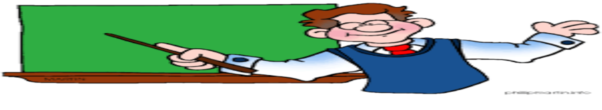
قال أسامة : وماذا حدث بعد ذلك ؟

قال حسن : تحوَّل عبد العظيم الذي كان يزأر كالأسد فجأة إلـى قطـة وديعـة ، ووعـدني أنـه سيتصـل بالموجـه العـام للاستطلاع الأمر ، وتأخر عبد العظيم في الرد ، وبدأ بعض المدرسين يتذمَّرون من توقف التصحيح ، ويرغبون في بدأ التصحيح كما جاء نموذج الإجابة . ولكني ثرت فيهم وذكرتهم بالله ، وبالظلم الواقع على الطلاب ، وأخيراً جاء عبد العظيم ليقول : بناء على اتصالاتي ، وحرصاً على مصلحة الطلاب فقد وافق الموجه العام على اقتراحي بوجوب تعديل نموذج الإجابة فمن يجب عن سؤالي القصة تقسم الدرجة على اثنين، أما إذا أجاب عن سؤال واحد فقط فتعطى للطالب الدرجة كاملة .

قلت له : بناء على اقتراحك أو اقتراحي المهم الطالب يأخذ حقه .

ضحك الأصدقاء .





وقالوا : ألا يستحي فينسب الفضل لنفسه ؟ دائماً المسئول إن كان هناك فضل نسبه لنفسه ، وإن كان هناك خطأ ألصقه بغيره .

قال حسن : وفي هذا اليوم رغم أني كنت حديث التعيين أصبحت زعيماً ، وأعفاني زملائي من تصحيح سؤال بل جعلوني مراجعاً عليهم .

قال صلاح : حدث معي موقف كموقف حسن فقد كنت أصحح في إحدى المرات وفوجئت أن نموذج الإجابة يشتمل على خطأ جسيم ، ومع ذلك أصرَّت الْمُدَرِّسة الأولى على عدم تصحيحه ، وثرت وأحضرت كتاب المدرسة ، وأثبت صحة رأيي ، وعَدَّلت الْمُدَرِّسة الأولى نموذج الإجابة ، وأثناء ثورتي همس عبد الحميد زميلي في أذني قائلاً : أنا ذاهب لأجري اتصالاً تليفونياً .

وبدأنا التصحيح ، وسألت الْمُدَرِّسة الأولى عن عبد الحميد فقلت لها إنه يجري اتصالاً تليفونّياً .

وفوجئت بها تلوم عليَّ لوماً شديداً ، وتهدَّج صوتها وبدأت تقول لي وهي تغالب البكاء : لماذا تفعل هذا يا أستاذ

صـلاح؟! ألـم أسـتجب لطلبـك وغيَّـرت نمـوذج الإجابـة ، لمـاذا أرسلت عبد الحميد ليتصل بمستشار المادة ؟! أنت تريد خراب بيتي ؟

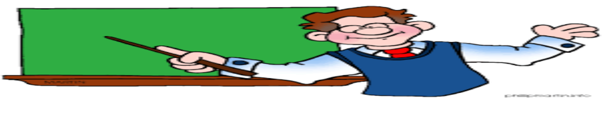
فوجئـت بكلامهـا هـذا ، فأنـا لـم أُرسـل عبـد حميـد للاتصـال بأحـد ، وعنـدما اسـتعدت مـا حـدث تـذكَّرت أنـي أثنـاء ثـورتي هـدئَّت الْمُدَرِّسـة الأولـى بالاتصـال بمستشـار المـادة وعـرض المشكلة عليه ، وحاولت جاداً تهدئتها ، وأقسمت لها أنـي لـم أطلـب مـن عبـد الحميـد شـيئاً ، فقـط أخبرنـي أنـه ذاهـب للاتصال.

وظلَّت الْمُدَرِّسة والمتعاطفون معها في قَلِق وحيرة حتى رجع عبد الحميد ، وقلت له منزعجاً : أين كنت يا عبد الحميد ؟

فقال وهو يبتسم : قلت لك كنت اتصل بالتليفون .

قلت له : تتصل بمن ؟

قال هامساً : اتصل بالتليفون معناها ، أنـي ذاهـب للحمـام ألا تعرف ذلك ؟! ولم أكن أعرف ذلك ، وتحرَّجت كيف أخبر الْمُدَرِّسة الأولى بحقيقة تليفون عبد الحميد .



وقهقه الأصدقاء طويلاً .



قال رفعت وهو يضحك : نوادر تصحيح الرياضة لا تحصى، فكما تعلمون أن أي خطأ في رقم أو علامةيعقّد المسألة ، حتى لو لم يكن هناك أخطاء فإن هناك مسائل لا يستطيع أينشتين نفسه حلها .

وحدث كثيراً أن بعض المدرسين الأوائل الذين يضعون الامتحانات يعجزن عن إجابة بعض المسائل !

وفي سنة من السنوات وضع المدرس الأول امتحاناً صعباً جداً انتقاماً من المدرسين الذين أخذوا منه كل دروس المدرسة ، وانتقاماً من الطالبات اللاتي ذهبن إليهم وتركنه ، ولسوء حظه أنه نسي نموذج الإجابة ، وعند التصحيح فوجئ بذلك فطلب منا أن نتعاون في حل المسائل ، ورفضنا جميعاً لأن هذه مسئولية واضع الامتحان ، ولم يتمكن من حل ثلاث مسائل من المسائل الخمس ، وأخذ يبحث في الكتب والملازم دون جدوى ، وعندما عجز تماماً عن حل المسائل ، وعن إقناعنا

بمعاونته في حلها قرر تأجيل التصحيح للغد حتى يحضر نموذج الإجابة من البيت ، ولسوء حظه أن مديرة المدرسة قد ألزمت جميع المدرسين بحتمية الانتهاء من تصحيح كل مادة في نفس يوم الامتحان ، واتصل بالمديرة ورجاها في تأجل التصحيح ليوم واحد ، ورفضت المديرة .

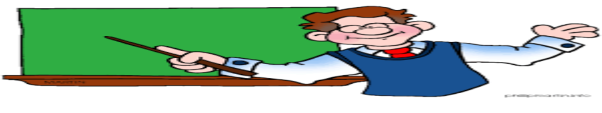
فقرر أن يذهب إلى بيته وكان يسكن في آخر شارع الهرم لإحضار نموذج الإجابة ، وهددنا بأن الذي سيغادر المدرسة سيكون مسئولاً عن تعطيل عملية التصحيح .

وعاد بعد حوالي ساعتين ، وفوجئ أننا قد أوشكنا على الانتهاء من تصحيح الامتحان .

وضحك الأصدقاء .



قال أسامة لحسن : سمعت أن برنامج الرحلة يشتمل على وجبة غداء فاخرة أليس كذلك ؟! أم سنظل طول اليوم على لقمة الفطير التي أكلناها في الصباح .



قال أشرف : لقمة فطير يا كذّاب لقد أكلت فطيرتك كلها ، ولم نكمل نحن نصف فطائرنا .

قال أسامة : لقد كانت فطيرة جميلة حقاً ، ومنذ سنوات لم آكل هذا الفطير " المشلتت " .

قال حسن : لا غداء إلا بعد أن نصلي الظهر .

قال أسامة مازحاً : ما يجري على رفعت يجري عليَّ .

قال حسن وهو يضحك : رفعت سيصلي معنا .

قال أسامة : لا مفرَّ إذن من الصلاة .

ضحك الأصدقاء .



قال صلاح : هناك حادثة تاريخية طريفة حدثت مع النحاس باشا ، ومكرم عبيد ذكرها صلاح الشاهد أحد مساعدي النحاس في مذكراته .

***

سرقة حذاء دولة رئيس الوزراء

قال صلاح : في أحد أيام الجُمَع والنحاس باشا ومكرم باشا عبيد يعومان في مياه الجربي.. قال النحاس مُدَاعباً مكرم عبيد: متى يا مكرم تُسْلِم لتصلي معنا الجمعة ؟

ضحك مكرم عبيد .. وانتهت فترة الاستحمام وخرج النحاس من البحر إلى عشته وارتدى ملابسه وذهب لأداء الصلاة في دمياط .

واستُقْبِلَ النحاسُ ومرافقوه استقبالاً حَمَاسِّياً حافلاً . وبعد أن أدَّى الصلاة خرج يفتش عن الحذاء فلم يجده .

وخرج أهالي دمياط كلهم يبحثون في دكاكين الأحذية عن حذاء ملائم للنحاس ولكنه رفض .

وعاد بالسيارة .. دون حذاء ! ووجد مكرم منتظراً في عشته برأس البر. وعندما علم بهذا الخبر استغرق في الضحك وقال



للنحاس باشا مداعباً: أتريدني أن أسلم يا باشا، لكي ليُ سْرق حذائي ؟

وضحك الأصدقاء .



قال حسن وهو يضحك : أول مرة سافرت فيها إلى دمياط سُرق حذاء صديق لي أيضاً .

قال أشرف : أنا عرفت الآن لماذا لا يريد أسامة أن يصلي معنا ؟

قالوا : لماذا ؟

قال أشرف وهو يضحك : لأنه دمياطي ، وأكيد هو الذي يسرق الأحذية .

وغرق الأصدقاء في الضحك .



قال صلاح : أتعرفون النكتة التي تقول : دمياطي قال لضيفه : تشرب شاياً ...

قال أسامة : وردَّ عليه ضيفه المنوفي قريب صلاح فقال : أشرب شاياً ولو خفيف ، وأتعشى ولو برغيف .

ضحك الأصدقاء .



همَّ رفعت أن يقول نكتة على الدمياطيين فقال أسامة : أنت صعيدي يا رفعت ، ولقد اخترعوا النكت من أجلكم .أسمعتم آخر نكتة على الصعايدة .

قال حسن : أسامة لن يتركنا نصلي ، هيا بنا يا جماعة .

قال أسامة : انتظر حتى تسمع هذه النكتة يا صعيدي .

قال حسن : وإن كانت نكتة قديمة .

قال أسامة مازحاً : سأذهب معكم للصلاة .



وضحك الأصدقاء .



وأكمل أسامة : كان هناك رجل يكثر من قول النكت على الصعايدة ، وفي يوم من الأيام أقنعه شيخ بحرمة الاستهزاء بالناس والسخرية منهم ، فقرر التوقف عن قول النكت على الصعايدة ، وذهب ليعمل عمرة عسى الله أن يغفر له .

وبينما كان واقفاً أمام الكعبة سأله رجل صعيدي : يا أستاذ .. يا أستاذ .. أين القبلة حتى أصلي ركعتين لله ؟

رفع الرجل يديه للسماء وقال : إنهم يستفزوني يا رب .

وضحك الأصدقاء .



ومع ذلك قالوا لأسامة : نكتة قديمة هيا نصلي .

* * *

في متحف الرئيس السادات

بعد الصلاة توجَّه الأصدقاء إلى مطعم " الملك توت " لتناول طعام الغداء ، حيث أعجبهم تصميم المطعم الفريد ، واستمعوا بتناول وجبة دسمة من الدجاج واللحم المشوي ، والأرز ، والخضار ، والسلطة .

أراد الأصدقاء الجلوس في إحدى الحدائق ليتناولوا الشاي ولكن حسن نصحهم بزيارة بقية المتاحف أولاً ؛ حتى يهضموا الطعام ثم يتناولوا الشاي بعد ذلك .

في متحف أنور السادات سمع الأصدقاء صلاحاً يقول : ما هذا العبث .. أين المسئول عن هذا المتحف ؟

وعندما سأل الأصدقاء عن غضبه : قال انظروا .. أترون الذي أراه ؟!



ونظر الأصدقاء إلى حيث يشير صلاح فرءوا بعض الكتب التي كتبها أنور السادات ، والكتب التي كُتِبت عنه .

قال أسامة : ما المشكلة يا صلاح ؟

قال صلاح بسخرية : يضعون كتاب " خريف الغضب " في متحف أنور السادات .. وهو كتاب كتبه حسنين هيكل بعد موت السادات وفيه انتقاد مرير للسادات !! وما كان هذا الكتاب ليوضع في متحف أقيم لتكريم السادات !!

أو يعقل أن يوضع كتاب " ثورة يوليو الأمريكية " لجلال كشك في متحف جمال عبد الناصر الذي أقيم لتكريمه ؟

بالطبع لا .

قال أسامة مازحاً : أيعقل أن نظل حتى الآن دون أن نشرب الشاي ؟!

***

قصة الأستاذ مع " ice tea "

جلس الأصدقاء لتناول الشاي .

قال أشرف : بمناسبة موضوع الشاي فقد حدث لي موقف مُحْرِج، ولن أحكيه حتى يتعهد أسامة أمامكم جميعاً بعدم التعليق والاستهزاء .

قال أسامة َمازحاً : لن أعدك بشيء ، وإذا لم تحكِ الموقف الُمْحرج فسوف اتهمك بكلِّ الاتهامات حتى تحكي .

قال أشرف : سأحكي وأمري لله ، لكن قبل أن أحكي أريد أن أقول لكم أن هذا الموقف قديم جداً جداً .

قال أسامة : قديم جداً .. حدث لك قبل أن تولد .. أيعجبك هذا .. قل يا أشرف وكفى مراوغة .



وضحك الأصدقاء .



قال أشرف : كنت أدرِّس لطالب من عِلْية القوم ، وجاءت الخادمة الفلبينية لتسألني عما أريد من شراب ...

قال أسامة ضاحكاً : شراب !! .. شراب !! وهل ذهبت إليهم حافياً ؟!

وضحك الأصدقاء .



قال رفعت : حلوة يا أسامة .. حلوة .

قال أشرف : إذا استمررت على هذا الاستهزاء فلن أكمل الحكاية .

قال أسامة : أكمل يا أشرف .. أكمل أنت وقعت ولم يسمِ عليك أحد ...

قال أشرف وهو يضحك : أنا أعرف أنك لن تفوِّت هذه الفرصة .

قال أسامة وقد شمَّر عن ذراعيه واتجه بجسمه كله ناحية أشرف : أكمل يا أشرف .. يومك أبيض إن شاء الله .. وبالطبع لم تكتفِ بالشراب ، وطلبت أن يأتوك بكل الملابس القديمة .

وقهقه الأصدقاء على أسامة الذي دبَّت فيه الشجاعة وقرر أن ينتقم من صديقه اللدود أشرف .



قال أشرف ضاحكاً : ماذا حدث لك يا أسامة ؟! .. هل أخذت حبوب الشجاعة ؟! .. لن أكمل حتى تتوقف عن التعليق والسخرية .

قال أسامة : تكلم يا جبان .. تكلم .. إن لم تكمل الحكاية أكملتها أنا على لسانك .



قال أشرف متظاهراً بالخوف : لا .. أكمل أنا الحكاية .

طلبت من الخادمة أن تحضر لي عصيراً ، وقال لها الطالب : " عايز tea " هكذا سمعتها .

وأكمل أشرف قبل أن يقاطعه أسامة ثانية : قلت له : ما هذا " Frankoo Arabic " ؟

قال لي كما يقول أسامة دائماً : لا أفهم .

وقبل أن يرد أسامة أكمل أشرف بسرعة : أدخلت الكلام العربي في الكلام الإنجليزي . وكان عليك إما أن تقول للخادمة : " أريد شاياً " أو تقول : " I want tea " ، ضحك الطالب وقال أنا طلبت منها " ice tea " شاي مثلج!

وهنا انطلق أسامة يقول لأشرف : يا متخلف .. جاهل .. ألا تعرف " ice tea " ؟! وكيف تعرفه وأنت لا تعرف غير العرقسوس .

وقهقه الأصدقاء طويلاً .





قال أشرف وهو مازال يضحك : كان هذا الموقف منذ أكثر من عشرين عاماً قبل أن يـُعرف هذا المشروب في مصر نهائياً .

قال أسامة : لم يعرف عند البيئات الشعبية التي نشأت فيها، أما أنا " ice tea " هو شرابي المفضل منذ كنت في " kg2 " .

وقهقه الأصدقاء .



وقال أشرف : هل "تُكاب ابن بمبة " الذي تعلّمت فيه أصبح الآن " kg2 " .. كفى كذباً .. قل هذا الكلام لغيري ؛ أنسيت أنني أعرفك منذ الصف الأول الابتدائي !

وواصل الأصدقاء الضحك .





قال حسن : كفى .. كفي .. لم أعد أتحمل كل هذا الضحك .. نتحدث عن موضوع خطير يهدد اللغة العربية ذكره أشرف أثناء كلامه .

***

لغة Frankoo Arabic

قال حسن : هناك لغة غريبة يستخدمها الشباب في المحادثات والتعليقات في Internet . لغة غريبة ليست لغة عربية ، ولا إنجليزية .

قال أسامة : تقصد Frankoo Arabic Language .

قال حسن : نعم .. ما قصة هذه اللغة الغريبة التي تدمِّر اللغة العربية ؟!

قال أسامة : لغة Frankoo Arabic لغة منتشرة الآن في Internet . وهي من تطوير شباب عرب . ويقولون عنها أنها تربط اللغة العربية باللغة الإنجليزية. حيث تكتب Frankoo Arabic بحروف وأرقام إنجليزية. ولكن تنطق على أنها حروف عربية . وتم ابتكار هذه اللغة بسبب انتشار



ألعـاب Online وبـرامج chat التـي لا تُسـتخدم فيهـا اللغـة العربيـة. وميـزة هـذه اللغـة أنهـا سـهّلت التواصـل بـين الشـباب العربي في جميع أنحاء العالم آياً كانت بلادهم .

قال حسن غاضباً :الذي يسـهّل التواصل بين العرب جميعاً مـع اختـلاف الزمـان والمكـان هـو اللغـة العربيـة الفصـحى لغـة القرآن الكريم ، وليس هذا العبث .

عندما أقرأ هذا الهُرَاء استفَزُّ غايـة الاستفزاز ، وأقوم بحجب كل من يكتب هذا الهُرَاء حتى ولو كان أولاد إخوتي وأخواتي.

وقد تقدَّم عبد العزيز باشا فهمي حين انتخب عضواً بمجمع اللغة العربيـة سنة ١٩٤٠ بمشروع يطالب فيه بتغيير حروف الكتابة في مصر من الأبجدية العربية إلى الأبجدية اللاتينية لأنها بزعمه حروف النهضة والعلم .

وقوبـل هـذا المشـروع بمعارضـة شـديدة بـل هجومـاً عنيفـاً وأَد الفكرة الفاسدة في مَهْدِها .

ولم يكن عبد العزيز فهمي أول من حاول إفساد اللغة العربية إنمـا سـبقه كثيـر مـن المُسْـتغربين المفتـونين بـالغرب ولقـد ردَّ

عليهم المحبُّون للغة العربية نثراً وشعراً ومن من أشهر القصائد في هذا الموضوع قصيدة حافظ إبراهيم التي يقول فيها على لسان اللغة العربية :

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفظًا وَغَايَةً
وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ
فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي

وقصيدة خليل مطران التي يقول فيها :

تَقُولُ لأَهْلِهَا الفُصْحَى أَعْدِلٌ
بِرَبِّكُمُ اغْتِرَابِي بَيْنَ أَهْلِي
أَنَا الْعَرَبِيَّةُ المَشْهُودُ فَضْلِي
أَأَغْدُو الْيَوْمَ وَالمَغْمُورُ فَضْلِي
إِذَا مَا القَوْمِ بِاللُّغَةِ اسْتَخَفُّوا
فَضَاعَتْ مَا مَصِيرُ القَوْمِ قُلْ لِي



قال رفعت : سامحك الله يا أشرف ؛ فقد حوَّلت الحكاية التي ذكرتها من مجلس أُنس إلى جلسة في مُجَّمع اللغة العربية .

ضحك حسن وقال : مَجْمع اللغة العربية يا رفعت .

قال صلاح : حسن يتهاون في أي شيء إلا الدين واللغة العربية .

***

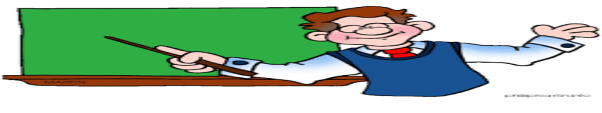
حكاية الشيخ زبير

قال رفعت : كان هناك مسئول في الوزارة ، أجارك الله من شره ، اسمه " الليثي " دخل المكتبة وكان حسن يلقي محاضرة فيها ، لا أتذكر الآن موضوعها ، المهم أراد الليثي أنْ يُحرِج حسن أمام الطالبات ...

احكِ أنت يا حسن بقية الحكاية إن كنت ما زالت تذكرها .

قال حسن : أذكرها بالطبع رغم أنه مرَّ عليها أكثر من عشر سنوات .. كان الليثي رجل حاد الطبع يخشاه مديرو المدارس والمدرسون ، وكنت أشرح نصاً للمتنبي ، وفوجئت أن الليثي يسأل طالبة ، من مؤلف مسرحية " تاجر البندقية " ؟

ولم تعرف الطالبة الإجابة فنظر إليَّ وقال لي : قل لها يا أستاذ الإجابة .



قال الأصدقاء : ما هذه الْعجْرَفَـةُ ؟ .. ليس من حقه أن يسألك .. لو كنت مكانك لطردته .

قال رفعت : انتظروا ماذا سيفعل حسن ؟

قال حسن :قلت مخاطباً الطالبات : كاتب هذه المسرحية هو وليم شكسبير ، وهو ليس إنجليزياً كما هو شائع إنما أصله عربي واسمه الشيخ زبير .

وأكمل رفعت وتعجَّب الرجل وقال بنبرة حادة : ما هذا الكلام يا أستاذ ؟!

فرد حسن بكل ثقة وقال : هذا ليس كلامي إنما كلام الرئيس مُعَمَّر القذافي .

احتار الرجل ماذا يفعل يُقِرُّ المعلومة الغريبة ، أم يكذِّب الرئيس القذافي ؟!

قال أسامة وأشرف : وماذا فعل ؟!

قال حسن : خرج من المكتبة مهرولاً ، وهو يغمغم بكلام غير مفهوم .

قال أسامة : وهل هذه المعلومة صحيحة يا حسن ؟

قال حسن : قرأت أن بعض النوبيين المصريين يصرُّون على أن شكسبير نوبي الأصل ، وأنه قبل هجرته إلى إنجلترا كان يعرف باسم: الشيخ زبير وأن بعضاً من بقايا عائلته لا يزال موجوداً هناك .

وأن الناقد السورى "كمال أبو ديب" في كتابه " تواشيح وليم شكسبير" قد أكدَّ أن وليم شكسبير سوري الأصل ، واسمه الحقيقي "الشيخ زبير" .

ولقد اقتنع القذافي بهذا الرأي ، وصرَّح أن شكسبير أصله عربي .

فلما وجدت الليثي يتكلم بتعال زائف قلت له هذا الرأي ونسبته للقذافي مباشرة حتى لا يستطيع أن ينفيه أو يكذبه .

وضحك الأصدقاء .





أوشكت الرحلة الجميلة على الانتهاء ، وبدأ الأصدقاء يخططون للقاء القادم .

قال أسامة : أنا سأسافر الأسبوع القادم لألحق بالأولاد في المصيف .

وقال رفعت : وأنا احتمال كبير أن أسافر إلى المصيف .

قال حسن نبقى على اتصال حتى نتفق على الميعاد .

لم يوفَّق الأصدقاء في تدبير ميعاد ، وجاء عيد الأضحى فانشغل الأصدقاء بعائلاتهم ، وبعد العيد سافر أسامة للإمارات ، وبدأ الأصدقاء دروسهم .

فأجلوا اللقاء لمناسبة قادمة .

***

